رحلة أبي الحارث

تأليف

الشيخ الأديب

محمد بن علي بن خميس البرواني

(ت ١٣٥٧هـ / ١٩٥٣م)

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

حقوق الطبع محفوظة

لـوزارة الـتـراث والـثـقـافـة

سلطنة عمان - مسقط

ص.ب:٦٦٨ الرمز البريدي:١١٣ مسقط

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠ م

تقديم

سماحة الشيخ العلامة / أحمد بن حمد الخليلي

الحمد لله أهل الشكر والحمد، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى ورسوله المجتبى ، وعلى آله وصحبه وكل من بهديهم اهتدى ، ، أما بعد :

فإن من شأن اللبيب – وهو يفتح بصيرته ويحدق بصره في العالم وتنوع مناخاته واختلاف شعوبه – أن تكون له وقفة تأمل في كل ما يطلع عليه إذ الكون كله سفر حافل بآيات الله تعالى الصامتة والناطقة الداعية إلى الاعتبار والاستبصار ، وكم للناس في أحوالهم ومعايشهم وتنوع مشاربهم في الحياة وتباين تصوراتهم وعاداتهم، وتعدد وجهاتهم واتجاهاتهم من دروس وعبر، تتجلى لأولي الألباب؟.

من أجل هذا دعا الله عباده من أجل المسير في الأرض للنظر والاعتبار، والتفكر والادكار، وقد حبب إلى الناس الاطلاع على ما لم يكونوا رأوه من قبل فمن هنا شحذ أولو العزائم هممهم لقطع المسافات وركوب البحار واجتياز الفيافي والقفار ليطلعوا على ما لم يكونوا رأوه من قبل فمن هنا شحذ أولو العزائم هممهم لقطع المسافات وركوب البحار واجتياز الفيافي والقفار ليطلعوا على ما لم يكونوا رأوه من قبل من أحوال البشر وعجائب البلدان وطبائع المناخات وتباين المشاهد ، وكان لكل نصيبه من ذلك فمنهم من لم يتجاوز نظره قشور مرئياته ومنهم من لم تشغله القشور عن اللباب، فنفذ ببصيرته إلى الأعماق، ليميط الأغشية عن الحقائق، فيستجليها ويجليها لأولي الإبصار.

وقد تنافس أولو الملكات البيانية في صياغة مشاهدهم من سياحاتهم صياغة أدبية تجلو هاتيك المشاهد كأنما يبصرها قارئها رأي العين، لما لعمق بيانهم وطلاوة أسلوبهم من

تأثير على الأنفس، فيتمتع القارىء كما تمتع المشاهد بجمال المناظر واكتشاف الحقائق، ولا غرو فإن من البيان لسحرا.

وإن ممن جرى في هذه الحلبة فبز الأقران بيعبوبه السباق الشاعر المفلق والكاتب الأديب الشيخ أبو الحارث محمد بن علي بن خميس البرواني في رحلته إلى البلاد المصرية والشامية، التي كانت في العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري إذ أروع ما سجله يراه الموهوب – في هذه الرحلة الأدبية الراقية – بديع مشاهده وملابساتها منذ بداية انطلاقه حتى آب إلى مسقط رأسه جزيرة زنجبار التي كانت نقطة انطلاقه، كما أودع ذلك مكنون فكره الوقاد ونظرته الفاحصة ورؤاه المتميزة، لكل ما وقع عليه ناظراه مما يشد الانتباه ويلفت الألباب.

فكانت رحلته هذه بحق جديرة بأن تعد ملحمة أدبية فذة، وروضة بيانية زاهرة يجد من دخلها وطاف بأرجائها ما

تشتهيه نفسه وتلذ عينه ، فهي – بلا ريب – السحر الحلال الآخذ بمجامع الألباب .

وقد عني حفيده مبارك الطلعة ميمون النقيبة الشاب نبهان بن تغلب البرواني بدراسة رحلة جده هذه والتقديم لها بما يزيد قارئها بهجة وإعجاباً، ولا غرو فما الفرع إلا امتداد أصله وما هذا الشبل إلا من ذلك الأسد، وإنا لنرجو له مستقبلاً واعدا إن شاء الله .

فإلى رواد البيان وعشاق الأدب هذه الروضة الناظرة التي فيها كل ما يمتع الذوق ويرهف الحس ويرضي الوجدان والله تعالى ولي التوفيق وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أحمد بن حمد الخليلي

المفتي العام لسلطنة عمان

مسقط / ٣ محرم ١٤٣١ هـ

شذى العبير الروحاني
بذكر بعض أخبار
العلامة محمد بن علي البرواني

بقلم حفيده
نبهان بن تغلب بن هلال بن محمد البرواني

نسبه :

هو الشيخ الأديب أبو الحارث محمد بن علي بن خميس بن سالم بن راشد بن عامر بن راشد بن سالم بن سعيد بن عامر بن خلف بن سنان بن عبدالله البرواني ، يتصل نسبه إلى الحارث بن كعب بن اليحمد الأزدي(١) .

وفي ذلك قال الشيخ محمد بن علي البرواني :

أمَا والذي تسعى إلى بيته الركبُ ... تَقُدُّ أديم الأرض وخْدًا بهم نبُ
وتربة آباءٍ كرامٍ نجارهم ... بهم تدفع الجلّى وتستمطر السحب
شماريخ من علياءَ كعب وحارث ... فهم سادةٌ نُجْبٌ غطارفةٌ غلْب
علوْتُ بهم في المجد ذروةَ باذخٍ ... إلى أن غدت تأوي إلى ظلها العُرْب(٢)

فهو ينتمي إلى أسرة عرفت بالعلم والجاه والكرم ، قد برز منها العديد من القادة والأفذاذ والعلماء والولاة ، كأمثال الفقيه الشيخ الوالي خميس بن بشير بن عبد الله

(١) شجرة نسب لقبيلة البراونة ، الشيخ سالم بن محمد بن سعيد بن عبد الله البرواني ، عام ١٩٦٦م .
(٢) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين .

البرواني الذي كان عاملاً للإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي ، ووالياً في عهد الإمام بلعرب بن سلطان اليعربي ، وابنه الفقيه الشيخ الوالي سعيد بن خميس البرواني الذي كان والياً في زمن الإمامين سيف بن سلطان وسلطان بن سيف الثاني اليعاربة ، وسليل المجد والشرف الشيخ عبد الله بن سالم بن عيسى البرواني الذي امتاز بالكرم واعتلى قدراً وشأناً بين عشيرته ، والشيخ القائد محمد بن جمعة البرواني الذي أخضع للسلطان سعيد بن سلطان البوسعيدي جميع موانئ ساحل مريما (تنجانيقا) ، وتمكن من طرد الملاجشيين منها ، والشيخ الشهيد بشير بن سالم البرواني الذي حارب الألمان في البر الإفريقي وغيرهم الكثير...

وعلى هذا النهج اقتفى الشيخ محمد بن علي البرواني سيرة أبائه فكان خير خلف لخير سلف ، وفي ذلك قال الإمام الداعية الحبيب أحمد مشهور بن طه الحداد :

كـريم نجـار مـن أعـاظم أسـرة تـرقت مـن العليـاء فـوق سـنام
فيا لك من ندب له الحلم والوفا وسامان إن يعلو امرؤ بـوسام(٣)

نشأته :

يبرز نشأة أبي الحارث من قول الشيخ العلامة أبو مسلم البهلاني فيه :

نـشأت مـن عنـصر زاك أرومتـه تـتلو مفاخرهـا الأجيـال والأمـم
شرط عليك مزاياهم ومجـدهم فأنت للشرط والمشروط ملتزم(٤)

ولـد أبـو الحـارث في حـارة البـاغ مـن أرض زنجبـار عـام ١٢٩٦ مـن الهجـرة ، وبهـا ترعـرع ونـشأ علـى كنـف والـده الشيخ علي بن خميس البرواني(١٢٦٧ هـ - ١٣٠٤ هـ)

(٣) ترجمة الإمام الداعية أحمد مشهور بن طه الحداد ، تأليف السيد حامد بن أحمد ، دار الفتح الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ،انظر ص ٤٣١

(٤) ديوان أبي مسلم البهلاني، اعتنى بجمعه الشيخ سالم بن سليمان بن سـالم بـن عديم البهلاني، نسخة مصورة من المخطوط بمكتبة جامعة السلطان قابوس .

الذي يعود أصوله لسفالة إبراء من شرقية عمان ، أحد أكابر علماء الشافعية في زنجبار ، أخذ علمه من صفوة علماء ذلك الزمن من أمثال الشيخ القاضي محمد بن سليمان المنذري والشيخ القاضي يحيى بن خلفان الخروصي ثم لازم الشيخ خميس بن سالم الخصيبي ثم تلقى العلم من الشيخ محمد بن صالح الفارسي الذي تتلمذ على مفتي مكة السيد أحمد دحلان، و فيه قال الشيخ سعيد بن ناصر الغيثي : "كان قد تفنن في العلوم وشهد له الشيخ صالح بن علي الحارثي ، لأنه كان رحمه الله يقول إن من يشاء أن يعارض حججه فليكن كعلي بن خميس أو نحو هذا من قوله فيه رحمه الله"(٥).

وللشيخ علي بن خميس البرواني العديد من التلامذة منهم العلامة السيد منصب بن علي (ت ١٣٤٦هـ) خطيب مسجد الجمعة في فرضاني منذ عام ١٢٩٩هـ الى عام

(٥) إيضاح التوحيد بنور التوحيد ،الشيخ سعيد بن ناصر الغيثي، انظر ص ٤٢٤ الجزء الأول للطبعة الأولى ١٩٩٦م.

١٣٣٧هـ من الهجرة والذي ترأس الجمعية السنية عند إنشائها، والشيخ عبد الله بن وزير (ت ١٣٢٢هـ) الذي كان مفتياً ومسؤولاً للأوقاف في زمن السيد علي بن سعيد ، والسيد حسن بن محمد بن حسن جمل الليل(ت ١٣٢٢ هـ) والسيد عبد الرحمن بن أحمد جمل الليل(ت ١٣١٥هـ) .

عندما بلغ أبو الحارث الثامنة من عمره ، اختطفت المنية والده الشيخ علي بن خميس البرواني في الثالث من شهر شوال عام ١٣٠٤ هـ(٦)، فقامت برعايته وعنايته والدته جوخة بنت محمد (ت ١٣٥٩هـ) صاحبة الأموال الطائلة في زنجبار ، وجدته العالمة الشيخة ريَّا بنت علي بن عامر البروانية التي كانت مثالاً للنساء الصالحات العابدات فقد عرفت بالاستقامة والورع وكان لها مجلس عامر بالنساء

(٦) المرجع السابق ص٤٢٤ ، يقول الشيخ الغيثي : وقد أخبرني الثقة عن الشيخ علي بن خميس البرواني أنه كان يأتم في الصلوات المفروضة خلف أئمة الإباضية ....، وانه صلى الظهر وإياه في مسجد الشيخ محمد بن سليمان المنذري في يوم الفطر جماعة وذلك قبل موته بيومين.انتهى.

وطالبات العلم(٧)، وقد ذكر الشيخ سعيد بن ناصر الغيثي عن والدة الشيخ علي بقوله: " والدته ابنة عم والده فهي ريَّا ابنة علي بن عامر بن راشد يلتقيان براشد وهي امرأة مشهورة موصوفة بصفات جميلة"(٨).

وعلى هذه الأجواء الإيمانية كانت بدايته بكتاب الله العظيم ثم ارتقى إلى مستوى المتتلمذين العلميين بعبقريته الفذة وفطنته الشديدة وحافظته الممتازة وكان كثير الاطلاع والقراءة من مكتبة والده الكبيرة التي آلت إليه، حتى أصبح ملماً بالعديد من العلوم كالتفسير والحديث والسير والنحو والعروض والفلك وقد شهد له بذلك الكثير من معاصريه.

(٧) رواية شفهية من الوالدة نائلة بنت محمد بن علي البروانية ،الأحد ٢٠ ذو القعدة ١٤٣٠ هـ .

(٨) ايضاح التوحيد بنور التوحيد الجزء الأول ص٤٢٣.

صفاته :

يقول العلامة أبو مسلم البهلاني فيه :

عرفت فيك كمالاً لايقوم بـه ... وصفٌ ولو كثرت في وصفه الكلم
وما كمالك دعوى مادح ملق ... وإنما الشاهدان السيف والقلم(٩)

عرف الشيخ بالصفات الساميات في مختلف السجايا ، فهو صاحب الأخلاق الحميدة والمزايا الفاضلة والكرم الحاتمي والاستقامة المتناهية والتواضع التام والزهد والابتعاد عن ملذات الدنيا ، وصاحب هيبة عظيمة ، جماليٌ دائمٌ على الثياب البيض مستديم على الروائح الطيبة كالعود والمسك والعنبر ، طلق الوجه كثير الابتسامة ، زكي النفس ، محبٌ لعمل الخير والاستماع لأخبار العلماء والأفاضل ،

(٩) ديوان أبي مسلم البهلاني، اعتنى بجمعه الشيخ سالم بن سليمان بن سالم بن عديم البهلاني،نسخة مصورة من المخطوط بمكتبة جامعة السلطان قابوس .

أديبٌ لا يبخل على أحد في العلم، مراعٍ لحقوق الأهل والجار، من الناسكين المتعبدين .

أعماله :

١- الدعوة إلى الله .

قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)(١٠)

كان أبو الحارث على سيرة والده الكريم ، لا يحب الدخول في أمور الدنيا و قد قرر أن ينتقل إلى الريف بعد وفاة الكثير من أصحابه، وذلك في سبيل نشر العلم والدعوة إلى الله ، استقر في مزرعته بدونجا التي آلت إليه من جهة والده ، وله فيها برزة خاصة متصلة بمكتبة تحوي عدداً كبيراً من الكتب الإسلامية ، ففي الصباح يقوم بتعليم النشء دروساً في الفقه واللغة العربية ، وبعد العصر يفتح

(١٠) فصلت الاية [٣٣]

مجلسه للجميع ويتناقش مع الناس أمورهم اليومية ويعمل على حل مشاكلهم ويتخلل ذلك بعض النصائح الدينية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وخلال السنة يخرج للدعوة إلى الله فينتقل إلى سواحل زنجبار كناحية باجي وماكندوشي وله فيها مساكن ، فيأتي إليه أبناء تلك المواطن والقرى المجاورة لأخذ نصيبهم من التعليم الديني ، وقد دخل على يديه مجموعة إلى الإسلام من ضمنهم بعض عماله الذين كانوا يدينون بغير دين الله ، عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لعلي رضي الله عنه :" فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمر النعم"(١١).

والمتمعن في هذا الحديث يعرف منزلة هؤلاء الدعاة الذين بذلوا كل غالٍ ونفيس من أجل إعلاء كلمته عزوجل.

(١١) رواه البخاري (٢٧٨٣) مسلم (٢٤٠٦)

٢- عمل في مصالح الناس وخدمتهم فكان أحد نظار الأوقاف، ذلك بما يتمتع به من الثقة والأمانة لدى الجميع(١٢).

٣- تولى منصب سكرتير الجمعية السنية وهي جمعية تأسست في عام ١٩٢٧م ترأسها في البداية السيد منصب بن علي ، ومن الأخبار التي وردت في ذلك ما كتب عن خبر الاحتفال ليلة الإسراء والمعرج : "أقامت الجمعية حفلتها الليلية بتلاوة نص المعراج في الجامع الكبير، فبالميعاد المحدد توافد أعيان البلد وكبراؤها برئاسة سكرتيرها الشيخ محمد بن علي بن خميس البرواني إلى ذلك الجامع ؛ الذي كان يتلمع بأنواع [المصابيح] الكهربائية، تحسبها نجوما تسر الناظرين، لسماع القصة، وهناك افتتح الشاب عبد الله موني بعشر

(١٢) هناك إشارة إلى ذلك انظر جريدة الفلق الصَّادر يومَ السَّبْت ١٥ ذي القعدة ١٣٥٧ هـ.

آيات من سورة الإسراء، ثم تليت القصة وأناشيد التلاميذ كانت تتخلل على رؤوس فواصلها.

ثم قام الأستاذ حسن عمير بالنيابة عن رئيس الجمعية الشيخ الجليل عيسى بن علي البرواني بتأدية شكر الجمعية للحاضرين، ودعاء جلالة السلطان المعظم وصاحب السمو الملكي ولي العهد. وانفض المجلس والساعة الرابعة، وألسنة القوم رطبة بالثناء."(١٣).

آثاره العلمية :

١- **مقامات أبي الحارث :** تذكر الدكتورة آسية بنت ناصر البوعلي في دراستها لهذه المقامات بعنوان قراءة أولى لمقامات البرواني : " في رأينا إن هذه المقامات تعكس بشكل أو بآخر ثقافة البرواني، إذ يتضح من الوهلة

(١٣) الفلق. انظر العَدَد (٥٠٦) الصَّادِر يومَ السَّبْت: ٢٩ رجب١٣٥٧ هـ/ ٢٤ سبتمبر ١٩٣٨م..

الأولى تأثر البرواني بسابقيه من كتّاب المقامات، فهو ينهج نهجهم في هذا الفن، كما يتضح من تضمينه نصوصاً دينية وأخرى ادبية : بلاغية وشعبية وثالثة تاريخية، أن البرواني كان شغوفا بالاطلاع والقراءة؛ إذ من المستحيل ان يضمن مقاماته نصوصاً أخرى دون أن يكون له دراية بها أو اطلاع مسبق عليها".

ويقول السيد حامد بن أحمد المشهور الحداد : " ومن الشخصيات الأدبية والعلمية في زنجبار : الشيخ محمد بن علي البرواني، مؤلف مقامات أبي الحارث ، وهي بحق تعتبر مفخرةً من مفاخر الأدب العربي الزنجباري. وقد اشتملت على خمس مقامات هي : المقامة السنجارية ، المقامة الصحارية ، المقامة العمانية ، المقامة المكية ، والمقامة النادية "(١٤) وقال أيضاً واصفاً المقامة العمانية : " إن هذه

(١٤) مجلة نزوى، مجلة فصلية ثقافية، العدد (٢٤) اكتوبر ٢٠٠٠م/رجب ١٤٢١هـ .

المقامة وغيرها من المقامات، بما احتوت من معان جزلة وحكم بليغة وطرف مليحة وشعر رصين، لهي جديرة بالإعجاب"(١٥).

وقد طبعت هذه المقامات في القاهرة لأول مرة في دار الكتاب عام ١٩١٤م، ثم طبعت بالمطبعة الرحمانية في مصر عام ١٩٣٢م، بعد ذلك طبعت بمطبعة السعادة في مصر عام ١٩٥٠م، والطبعة الأخيرة قامت وزارة التراث والثقافة بطباعتها وذلك في عام ١٩٨٠م.

٢- **رحلة أبي الحارث** : وهي رحلة قام بها الشيخ محمد بن علي البرواني إلى مصر وبلاد الشام ابتداءً من مسقط رأسه في زنجبار، زار فيها العديد من المدن كالقدس والقاهرة و بيروت ودمشق والخليل، وأثناء الرحلة مر بعدن من أرض اليمن وجيبوتي.

---

(١٥) دراسات عن العرب والإسلام في شرق افريقيا، تأليف السيد حامد بن أحمد مشهور الحداد، دار المنهاج- الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

يقول الشيخ برهان بن محمد مكلا القمري في وصف هذه الرحلة :

بشر لرحلتك السنية قد علا وجه البلاد فصار يغبطه الملا
ألفتها حفظا لما شاهدته منذ الذهاب إلى الإياب مفصلا

وقد طبعت هذه الرحلة في مطبعة النجاح في زنجبار سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٥ م.

٣- ديوان شعري ، فقد أبان الانقلاب الدموي في زنجبار عام ١٩٦٤م .

٤- قصائد متفرقة ، منها ما أمد به المشائخ إلينا في عُمان وحضرموت.

ومن ضمنها هذه القصيدة التي نظمها الشيخ محمد بن علي البرواني في السلطان خليفة بن حارب البوسعيدي بمناسبة اليوبيل الفضي :

خفقت بعرشك راية الإحسان فشذى بمدحك سائر الثقلان
وصفات مجدك أشرقت بين الورى كالشهب أو فلق الصباح الثاني
ورفعت أبنية المكارم حيث لا يبني بناءك للمكارم باني
فاهنأ بعمرٍ جللته مآثرٌ برداء مفخرة رفيع الشانِ
ثم الصلاة على النبي وآله ما دامت الأفلاك في الدورانِ(١٦)

مشائخه :

لقد تلقى الشيخ محمد بن علي البرواني علومه على أيدي علماء زنجبار الذين عرفوا بالعلم والتقوى والأدب ، واخذ منهم كافة العلوم الدينية والشرعية على اختلاف مذاهبهم الفقهية ، فإليهم يعود الفضل بعد الله سبحانه وتعالى .

(١٦) حصلنا على هذه القصيدة من الشيخ حمد بن سالم بن محمد الرواحي .

أولاً : العلامة القاضي الشيخ عبدالرحيم بن محمود بن أحمد بن محمود الوشيلي القمري (ت ١٣٥٥هـ) .

أحد كبار العلماء الشافعية ، تلقى علومه من السيد عبد الرحمن بن أحمد جمل الليل (ت ١٣١٥هـ) والشيخ عبد العزيز بن عبد الغني الأموي (ت ١٣١٤هـ) والشيخ عبد الله بن وزير(ت ١٣٢٢هـ) والشيخ محمد بن أحمد المروني(ت ١٣٠٧هـ) ، ولي القضاء في عهد السلطان علي بن حمود عام ١٣٢٤ هـ .

يقول الشيخ برهان بن محمد مكلا صاحب كتاب الألفية الواضحة الملقبة بالجواهر المنظمة وهي عبارة عن ألف بيت في النحو والصرف ومعاني الحروف في مستهل هذا الكتاب عن هذه المنظومة :

"... وهي وإن كانت محتوية على ما يستطاب من الفوائد فذلك من فضل أستاذي العلامة القاضي عبد الرحيم بن

محمود الوشيلي القمري متعني الله بحياته لأنه هو الذي اعتنى بتعليمي منذ صغري ، وإن وجد فيها ما لا يستحسن أو ما يعد غلطاً فهو من سوء فهمي ولله الكمال"(١٧) ، وقد تتلمذ الشيخ محمد بن علي البرواني والشيخ برهان بن محمد و القاضي الشيخ علي بن محمد باقشمر العباسي على يد الشيخ عبدالرحيم في مسجد كنيوزي الذي بناه الشيخ عبدالرحمن بن أحمد الأفغاني.

ثانياً : العلامة القاضي الشيخ سيف بن ناصربن سليمان بن علي الخروصي (ت١٣٤١هـ) .

من أكابر الفقهاء والأدباء ، يعود أصوله لقرية ستال من وادي بني خروص ، و تتلمذ فيها على علماء زمانه من أمثال الشيخ يحيى بن خلفان الخروصي (ت١٣٢٢هـ) ، والشيخ خميس بن جاعد بن خميس الخروصي

(١٧) الالفية الواضحة الملقبة بالجواهر المنظمة ، الشيخ برهان بن محمد مكلا القمري انظر ص٢ .

(ت ١٣٠٧هـ) ، والشيخ سالم بن خميس بن خلفان الخروصي (ق ١٣ هـ) ، والشيخ محمد بن ناصر بن عبد الله الخروصي (ق ١٤ هـ)، والشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي (ت ١٣٢٤هـ) ، ثم هاجر إلى زنجبار واستقر بها ، ولي القضاء في عهد السلطان برغش بن سعيد البوسعيدي الى عهد السلطان حمود بن محمد البوسعيدي .

لازم الشيخ محمد بن علي البرواني هذا الشيخ الجليل فترة طويلة كما درس عليه الشيخ عبدالعزيز بن محمد الرواحي(ت ١٣٦٢هـ) وكاتب الحضرة السلطانية الشيخ سالم بن محمد الرواحي (ت ١٣٦٦هـ) و الشيخ سليمان بن محمد العلوي(ت ١٣٩٠ هـ) والقاضي الشيخ سعيد بن ناصر الغيثي(ت ١٣٦١هـ) والشيخ علي بن خميس بن راشد القصاب (ق ١٤) والشيخ برهان بن محمد مكلا (ت ١٣٦٨هـ) .

يذكر الشيخ سعيد بن ناصر الغيثي أبا الحارث في كتابه إيضاح التوحيد:"وهو ممن أخذ العلم عن شيخنا سيف، وله فيه ثناء جميل وشهادة لنيل العلم سمعته غير مرة "(١٨) ، وقد أرخ الشيخ محمد بن علي البرواني كتاب شيخه سيف بن ناصر الخروصي " الإرشاد في شرح مهمات الاعتقاد"(١٩) فقال :

حلية العلم سيمة الأمجاد ... فهو عين الكمال والإمداد
أورد الفكر في المسالك تبصر ... مظهر العلم في خيار العباد
نسبة العلم إن تجلت بعبد ... أكسبته بصائر النقاد
وتجلت له من الحق شمس ... بسماء التوفيق والإرشاد
برزت في مظاهر الحق منه ... كلمات دلت على الانفراد
واستقامت لنصها بينات ... نيرات الصوى مع الإسناد
فأزاحت بنورها اذ تبدت ... داجيات الشكوك والإلحاد

(١٨) إيضاح التوحيد بنور التوحيد الجزء الأول ص ٢٠٨
(١٩) الإرشاد في شرح مهمات الاعتقاد ، تأليف الشيخ سيف بن ناصر الخروصي ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م ، انظر ص ١٤ وص١٥.

واستتبت له الحقائق علماً ... في مقام اليقين والاعتقاد
كالإمام ابن ناصر إذ أتانا ... بكتاب كالجوهر الوقاد
جامع الكل في الحقيقة كنز ... من علوم ما إن له من نفاد
فعلى الكل فهو آية فضل ... واهتداء إلى سبيل الرشاد
يا جميل الصفات يا مفرد العـ ... ـصر كمالاً وواحد الآحاد
أنت بحر العلوم في كل فن ... وعماد التقى وركن السداد
ما لك اليوم في علومك ند ... أو مثيل قد بدا لنا في البلاد
لك مدحي وقد حلى ولهذا ... عم شعري حلاوة الإنشاد
يا لبشرى الموحدين بسفر ... نسف الجاحدين نسف الرماد
يبهج العارفين كشفاً ونوراً ... كابتهاج الدنيا بصوب العهاد
عام تأليفه أتى ضمن بيت ... يتجلى عليك في الأعداد
قل وعلم الكلام علم عزيزٌ ... قد حواه مُهمة الاعتقاد

ثالثاً : العلامة الأديب الشيخ عبدالله بن محمد بن سالم بن أحمد بن علي بن عبدالله بن عمر باكثير الكندي (ت ١٣٤٣هـ).

عرف الشيخ عبد الله بالاستقامة والزهد والسيرة الصالحة ، توفي عنه والده وهو في سن الخامسة فنشأ طفولته في حضانة والدته ابنة عبد الله بن عدي بن عبد الله البروانية والتي يكون عمها الشيخ محمد بن عدي صاحب المسجد الحديث في حارة الباغ ، درس الشيخ عبد الله على أيدي الكثير من العلماء في ديار الحجاز وحضرموت ولامو مسقط رأسه منهم العلامة السيد حسين بن محمد بن حسين الحبشي والعلامة الشيخ محمد بن سعيد بابصيل والعلامة الشيخ عمر بن أبي بكر با جنيد والعلامة السيد عبد الرحمن بن محمد السقاف والعلامة السيد احمد بن حسن العطاس والعلامة السيد أبوبكر بن عبدالرحمن الحسيني والعلامة السيد صالح بن علوي جمل الليل والشيخ محمد بن مسلم قاضي لامو ،

ثم لازم العلامة الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سميط لمدة ٣٤ عاماً ، فأصبح مرشداً من المرشدين.

وقد برع في كافة العلوم الدينية وكان يُدرس بالبداية في مسجد جوفو ما بين المغرب والعشاء وأيضا في شامبته في فووني إلى أن انشأ مدرسته في أوكاتاني من أرض زنجبار وتتلمذ على يديه العديد، منهم- لا على سبيل الحصر- الفقيه العلامة الشيخ محسن بن علي بن عيسى البرواني (ت ١٣٧٢ هـ)(٢٠) ، و العلامة القاضي السيد عمر بن أحمد بن سميط (ت ١٣٩٦هـ) وابنه الشيخ أبوبكر بن عبد الله (ت ١٣٦٢هـ) ، و الشيخ سالم بن سعيد بن سيف الشهيبي(٢١)(ت ١٢٤٩ هـ)، والعلامة الشيخ الأمين بن

(٢٠) خبر وفاة الشيخ محسن بن علي في جريدة النهضة العدد ٥و٦ ،٤ و١١ جمادى الثانية ١٣٧٢هـ تحت عنوان مصاب جلل :" ... حيث شيع جثمانه خلق كثير لم يشهد مثله من قريب لما للفقيد من مكانة سامية بين القوم ، والشيخ محسن فقيه وعالم من علماء أهل السنة بزنجبار تغمده الله بواسع رحمته والهم ذويه الصبر والسلوان وإنا لله وإنا إليه راجعون..." انظر ص١ .

(٢١) اشتهر هذا الشيخ بعلم الميراث وله درس في هذا العلم كل خميس في مدرسة الشيخ عبدالله باكثير في اوكاتاني.

علي المزروعي والشيخ سليمان بن علي المزروعي (ت ١٣٥٥ هـ) والشيخ محمد بن عبد الرحمن المخزومي (ت ١٣٦٥هـ) والسيد احمد بدوي بن صالح جمل الليل (ت ١٣٥٨هـ) والشيخ عبد الله بن محمد الخطيب (ت ١٣٧٤هـ) والشيخ جابر بن صالح الفارسي (ت ١٣٦٨هـ) .

توفي الشيخ عبد الله باكثير في مدينة زنجبار ليلة الثلاثاء ١٤ من شهر شعبان عام ١٣٤٣ من الهجرة ، وقد رثى أبو الحارث مشائخه الشيخ عبد الله باكثير والحبيب أحمد بن أبي بكر بن سميط في قصيدة مطلعها :

ماذا تريد طوارق الحدثان بالعلم والإسلام والإيمان

إلى أن قال :

يحكى مصابك والمصائب جمة ما قد دهى الإسلام في شعبان

أعزز بعبد الله إن مصابه أوهى قوى الأرواح والأبدان

قطب من الأقطاب شمس هداية ... متقدسٌ في السر والإعلان
أبلغ أبا بكر بن عبد الله والـ ... ـحامي الحمى عمر فتى الفتيان
فلئن يك البحران طوع إرادة ... فهما إلى الرضوان يلتقيان
فلأنتما خلف لأكرم حائز ... للفضل والإجلال والإحسان(٢٢)

ورثاه أيضاً العلامة الشيخ محمد بن أحمد باكثير في قصيدة مطلعها:

لسان الدمع ينطقها الحمام ... ومسلوب الأحبة مستهام
فلا أقوى على صبر وإني ... أسير جوى على الصبر السلام
أتى نبأ وحدث بالذي لا ... يسر وفي الحشا منه الضرام
يئن عليه علم واعتبار ... تئن عليه أوصاف جسام
فلا تسأل عن الحزن الذي قد ... جرى ما هذه النوب العظام
ألا ما حال بندر زنجبار ... وقد أودى بها الشيخ الهمام
حليف العلم والعمل المفدى ... بكل الخير كان له انتظام

(٢٢) الابتهاج في بيان اصطلاح المنهاج ،تأليف العلامة أحمد بن أبي بكر بن سميط ، الطبعة الثانية ١٩٦١ ،أمدني بها السيد عبدالقادر بن سالم بن ابوبكر بن شهاب الدين.، انظر ص٤٦ ص٤٨.من ترجمة الشيخ عبد الله بن محمد باكثير.

رابعاً: العلامة الفقيه الحبيب شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن زين بن سميط.(ت ١٣٤٣هـ)

المرشد الشهير من كبار الأجلاء العارفين يعود أصوله لحضرموت، ولد في جزر القمر ونشأ على كنف والده الكريم، درس على يد مشايخه العديد من العلوم كالتفسير والحديث والفقه والمنطق والفلك والميقات، وفي عهد السلطان برغش بن سعيد ولي القضاء على زنجبار وذلك عام ١٣٠٠من الهجرة ، له العديد من المؤلفات منها (منهل الوراد من فيض الإمداد) و(تحفة اللبيب) و(الكوكب الزاهر) و(منهج الفضائل ومعرج الأفاضل) و(حاشية على فتح الجواد) و(المطالب السنية) .

قد نظم العلامة مفتي الديار الحضرمية عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف قصيدة لاستقبال الحبيب أحمد في رحلته الأخيرة إلى حضرموت، وذلك في عام١٣٢٥هـ من ضمنها:

تحلَّت بـه الـدنيا ابتهاجـا وجادهـا مـن الأنـس مُـزن دائـم الـسكب هطـال
وألبس وجه الأرض أثوابَ سندس من العشب فهي الآن تزهو وتختال([٢٣])

ومن المهنئين ايضاً لهـذا القـدوم الـشيخ محمـد بـن محمـد باكثير في قصيدة مطلعها :

ثغر الزمان بيمن عـودك أظهرا بيض الضواحك بالمسـرة أنورا

ومن ضمنها :

يا مرحـبا بـالمفرد العلـم الـذي شهدت له في الفضل آساد الشرى
بحر علـى التحـــقيق إلا أنـه عـــذب المذاق به يفوق الأبـــحرا
من معشر غـــر كرام في العلى صـــاروا لغايـات المكـارم مـصدرا

وقـد جـارى الـشيخ سـليمان بـن ناصـر اللمكـي هـذه القصيدة بقوله :

وليسق عهد الجـود منـك معاهـدا فلقـد سـقى العبـاس قبلـك معـشرا
ردي شبـام عليّ صاحـبيَ الـذي أخـذ النـور حتـى حُرمـت بـه الكـرى

(٢٣) الابتهاج في بيان اصطلاح المنهاج ، ترجمة السيد أحمد بن أبي بكر بـن سـميط انظر ص٣٦

فلقد جرى من أدمعي ما قد كفى ولقد كفى من بعده من قد جرى[٢٤]

بعد أن أمضى العلامة الحبيب أحمد بن ابي بكر نصف عام لهذه الزيارة عاد إلى زنجبار، وقد نظم تلميذه الشيخ محمد بن علي البرواني قصيدة لهذه المناسبة وفي ذلك يقول:

إفترّ ثغرُ الدهر منك وأسفرا وغدا بعَوْدك عودُ عيشيَ أخضرا
تالله ما أحلى قدومك إنه ملأ البسيطة للمبرَّة عسكرا
وغدَتْ به الأرجاء تنشر ما انطوى من نشْرها بالبِشْر مِسكًا أذفرا
لله آيةُ ليلةٍ أبدت لنا في صبحها ذاك الجبينَ الأزهرا
متلألئًا بسنا النبوة والتُّقى فانجاب منه كلُّ أقتمَ أغبرا
يا مَنْ تولَّعَ بالكرام صبابةً إني بأحمد لم أزل مستهتَرا
أعني الإمامَ العالمَ الفَطِن الأديـ ـبَ اللوذعيَّ الألمعيَّ غضنفرا
مولى كفاتحة الكتاب مقدّمًا في الفضل قد أعلاه لن يتأخرا
شهمٌ إذا سرد الخطاب وجدْته بحرًا من الآداب يقذف جوهرا

(٢٤) صحافتنا العُمانية.. في ذكراها المئويّة، مُختارات من صحافتنا العُمانيّة، للشيخ سلطان بن مبارك الشيباني.

شهمٌ إذا مـا رمْـتَ عـدَّ صفاتِـهِ ... ألفـيتَ أدنـى صفاته لـن يُحصرا
شهم إذا ما قمـتُ أُنشِد مادحًـا ... فـي مجده فكأنـي أمـدح حيـدرا
مـن معشرٍ كَرُمـوا وطـاب نجارهـم ... بالمصطفى شمس الهداية في الورى
بـصفاتهم آي الكتـاب مخبِّـرٌ ... حسْبٌ إذا كـان الكتـاب مخبِّـرا
يـا مـن تفرّد فـي حميـد صفاتـه ... يـا ابْـنَ الكـرام الطـيبيـن العنصرا
شيـّدت ركـن الديـن حتـى إنـه ... لـولا جنابـك كـاد أن يتحـدّرا
أظهرت فينا معارفًا حتـى اختفـى ... ليـلُ الجهالـة والعمـى وتستّـرا
لم يبق في العليـاء شأو منافسٍ ... إلا بلغـت مبـوَّءًا أسمـى الـذرا
بك قد صفا الدهر الملوم وأشرقـت ... أيامُـهُ وزهَـتْ وفاحـت عنبـرا
فاسلـمْ ودُمْ للمجد دهرًا سَيّدي ... لا زلت فـي حُلـل الهنـاء مدثّـرا
ما رنّحتْ بالسجْع أغصانَ النقـا ... ورْقٌ وما لاح الصّباح وأسفرا[٢٥]

(٢٥) معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

۞ العلاقة العلمية والأدبية والاجتماعية بين الشيخ محمد بن علي البرواني ورجال زمانه:

لقد اتصل أبو الحارث بالكثير من العلماء والأدباء والوجهاء و العامة من أهل زنجبار وغيرها من الأقطار، ومن بينهم:

١- العلامة القاضي الشيخ أبو مسلم ناصر بن سالم بن عديم البهلاني الرواحي (ت ١٣٣٩هـ)

يعتبر العلامة أبو مسلم شاعر أهل زمانه وأعلمهم ، له مؤلفات كثيرة في النثر والشعر كنثار الجوهر في علم الشرع الأزهر والنشأة المحمدية وغيرها ، تولى القضاء في زمن السلطان حمد بن ثويني البوسعيدي ، وكان رئيس تحرير أول صحيفة عربية في زنجبار تدعى النجاح .

وبين أبو مسلم وأبو الحارث صداقة وثيقة ، والكثير من

القصائد المتبادلة ، من بينها هذه المساجلة التي شارك بها عدد من الأدباء ، نقلاً من ديوان الشيخ عبد الرحمن بن ناصر الريامي : " أيام إقامتي بالجزيرة الخضراء في سفري الأول عرض علي الشيخ سلطان بن محمد الإسماعيلي الساكن الطائف من أعمال ويته من الجزيرة الخضراء مباسطة أشياخ الأدب .. ومن أين للضالع أن يبلغ شأو الضليع وها هي مباسطتهم"(٢٦) :

أنشد الشيخ محمد بن علي بن خميس البرواني :

ما حيلة المرء إن زاد الغرام به ومن يحب بحب الغير مشغولُ؟
إن رام تركاً فهذا لا سبيل له أو رام صبراً فعقد الصبر محلولُ

فقال الشيخ أبو وسيم خميس بن سليم الأزكاني مجيبا على مذهبه الذي ذهب إليه :

يهوى سواك وتهواه فهل سفه من ذا أشد؟وبعض الرأي تضليل

(٢٦) مخطوط الشيخ عبد الرحمن بن ناصر الريامي ، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي.

العزم والحزم سيفا كل نازلة ... كل بحديهما لا شك مغلول
نزه هواك وأخلصه لمخلصه ... إن النزاهة فوق الرأس إكليل

وأجابه أبو مسلم :

خل الصبابة تسري في خليقته ... والحب من سره لطف وتذليل
لعل سكرته في الحب تجذبه ... إلى وصالك يوماً وهو مذهول
واصبر عليه وخل الحب ينحله ... جرحا بجرح ومافي الحب تحويل

فجاراهم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر الريامي في أبيات مطلعها :

من كان عبداً لمن يهوى فليس له ... في مذهب الحب تخيير وتبديل
إن كان قلبك لا تملكه كيف ترى ... بقلب حب بغير عنك مذهول
إن كنت تعشقه حقا فمت كلفا ... موله القلب في معناه مشغول
فاصبر بلا ضجر في حال جفوته ... عسى يلين وعقبى الصبر تسهيل
من أين تملك قلبا فيه مالكه ... ما كان رأيك بعض الرأي تضليل

وأجابه شيخ البيان محمد بن شيخان السالمي :

يستنجد المقلة الفرحى ليسعده ... منادم في زوايا الخد مطلول
ويوقد الوجد ناراً في جوانحه ... يصلى لظاها حشى بالحب متبول
وتلك شدةُ أمر إثرَها فرحٌ ... ومنتهى الحزن بالأفراح موصول
وان ينل قبل ما يرجو منيته ... فكل ما قدر الرحمن مفعول
يا حسبه شرفا من أن يقال فتىً ... بمعرك الحب أمسى وهو مقتول
لاخير في حب مشغول بغيرك ، ذا ... لاهٍ ، وأنت له في الأسر مكبول
وأعذب الحب أن يلقى حبيبك ما ... تلقاه منه ، وهذا الحب مقبول

٢- العلامة السيد عبدالرحمن بن عبيد الله السقاف مفتي الديار الحضرمية

فقيه وأديب ومؤرخ ، له مؤلفات عديدة من بينها كتاب العود الهندي في نقد ديوان الكندي وكتاب بلابل التغريد في علم التجريد وكتاب إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت .

اتصل أبو الحارث به وكانت بينهم مراسلات نذكر منها

ما خطه العلامة السقاف إليه : " فقد ورد في كتابك المحرر غرة ربيع الثاني من هذا العام ووصلني قبله المقامة فطردت بها عيني ولقيت ما يكشف ريني ويهز بها نفسي ويعيد أنسي ويطرق سمعي ويسيل دمعي إلى أن قال فأنا قاضي .. لها بفضل وشهد لها بنقل والعلم لا يحصر بزمن ولا يختص بشام ولا يمن "(٢٧).

وقرَّظ العلامة السقاف مقامات أبي الحارث بقصيدة :

كــلامٌ كـله حِـكَمٌ وظــرفُ ... يفـوح مـن العروبـة فيـه عُـرفُ
شفيْتُ الغِلَّ منه بنهـل رشــفٍ ... يؤمَّـــلُ بعـــده مـــلٌّ وغَـرْفُ
بـهِ الأدبُ ازدهـى واشتدَّ رُكناً ... ومِـن بـُنيانِهِ قـد مـــالَ حـرْفُ
يُـشَنَّفُ منـه بالعِقْيـانِ سمـعٌ ... ويرتَـعُ في ريـاضٍ منـهُ طـرْفُ
لِعهْـدٍ صـرُّحتْ فيـه المعـالي ... وأرهقَهـا مـن الأيـامِ صَـرْفُ
فيوشِكُ أن يكُـفَّ لهـا دُسـوماً ... يطُولُ لها منَ الأرزاءِ ذَرْفُ(٢٨)

---

(٢٧) مخطوط شذى الازهار من مجالس الحبيب سالم بن حفيظ في زنجبـار، مكتبـة العلامة الحبيب علي المشهور بن محمد بن حفيظ ، تريم حضرموت.

(٢٨) من مقامات أبي الحارث ،الشيخ محمد بن علي البروانـي ص١٣٢،طبعـة وزارة التراث القومي والثقافة ،سلطنة عمان ، ١٩٨٠م.

٣- النسابة الشيخ عيسى بن علي بن عيسى البرواني

نسَّابة معروف له مذكرات في تاريخ القبيلة ، يعتبر الشيخ عيسى بن علي مرجعية للتاريخ والنسب في ذلك الزمن وقد استفاد من معلوماته كل من الشيخ سعيد بن علي المغيري في جهينته التاريخية والشيخ عبدالله بن صالح الفارسي في كتابه البوسعيديون حكام زنجبار.

٤- الشيخ الأديب برهان بن محمد مكلا القمري (ت١٣٧٢ هـ)

أحد كبار الأدباء في زنجبار، نابغ في علوم اللغة العربية، تلقى علومه على أيدي كبار العلماء من أمثال الشيخ عبد الرحيم الوشيلي والشيخ سيف بن ناصر الخروصي والشيخ أبومسلم ناصر بن سالم الرواحي والسيد أحمد بن أبي بكر بن سميط.

يقول الشيخ سعيد بن علي المغيري : " وممن خدم في هذه الحكومة ، في أيام السيد علي بن حمود إلى عهد السيد الحالي خليفة بن حارب الأستاذ الفاضل الشيخ برهان بن محمد مكلا ، وقد توظف في حكومة زنجبار منذ شهر نوفمبر ١٩٠٨م الى عام ١٩٣٩م، وهو ممن يستحق أن نذكره في أعلام علماء زنجبار، لما حازه من الفضائل، فقد نبغ في العلوم العربية حتى لقب بسيبويه زنجبار ، وله كتب في النحو والصرف والبيان ..."(٢٩).

ارتبط أبو الحارث بالشيخ برهان منذ صغره في درس شيخهم العلامة القاضي عبدالرحيم الوشيلي وشيخهم العلامة القاضي سيف بن ناصر الخروصي .

(٢٩) جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، تأليف الشيخ سعيد بن علي المغيري، الطبعة الربعة ، ٢٠٠١م ، انظر ص٥٣٣

٥- العلامة القاضي السيد عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط

من كبار علماء زنجبار أخذ علمه على يد والده والشيخ عبد الله بن محمد باكثير ، له العديد من المؤلفات من ضمنها هداية الإخوان في شرح عقيدة الإيمان والنفحة الشذية ، ولي القضاء في عهد السلطان خليفة بن حارب البوسعيدي .

للشيخ محمد بن علي البرواني قصيدة في مدح هذا السيد وآل البيت الكرام مطلعها :

معاهد ربع باللوى هجن أشجاني ولم يبق منها غير موقف ركبان
بها لعبت هوج الرياح وقد عفت رسوم لها كانت مراتع غزلان
وأصبحن بعد العهد قفراً سباسبا وأبدلن بعدالأنس حرقة أحزان

ومن ضمنها :

من القوم لا يستنزل الضيم جارهم لهم شيم نمت على الند والبان
فهم سادة شم العرانين كمل كرام نجار أهل عرف وعرفان

مساميح للعافي مصابيح للورى إذا ما ادلهم الدهر يوما بطغيان
نمتهم إلى العلياء ذروة هاشم محبتهم فرض على كل إنسان

ولما استمع الحبيب سالم بن حفيظ على هذه القصيدة أثنا على الشيخ محمد بن علي ودعا له .(٣٠)

وللسيد القاضي عمر بن أحمد بن سميط قصيدة في مدح الشيخ محمد بن علي البرواني عنوانها السكرية الحارثية في مدح ابي الحارث البرواني وهي :

قالت وقد حاورتها فيما جرى يوم النوى هل غير دمع قد جرى
ووصفت أشواقي فقالت هل سوى سهر وبالشوق الفؤاد تفطرا
فسألت عن حق الهوى وعن الذي ترضاه قالت أن أموت وأقبرا
فوهبتها روحي فقالت وهي في إعراضها ضع ما وهبت على الثرى
فسألتها من بعد روح المرء هل في الحب من شيء يباع ويشترى
فتبسمت من بعد حين ثم قا لت حار في أمر الهوى من لا درى
لو مت في حبي لما أديت من فرض الهوى شيئا ومت مقصرا

(٣٠) مخطوط شذى الازهار من مجالس الحبيب سالم بن حفيظ في زنجبار .

فقرعت سني نادما ورجعت عن ... ود الحسان وحسبهن القهقرا
وطفقت اجتاب البلاد لاصطفي ... خلا واختبر الرجال وانظرا
فقطعت فوق اليعملات مهامها ... وعلى الجواري المنشئات الأبحرا
ودخلت اندية الكرام و زرت سا ... دات الأنام ولم أزل مستخبرا
حتى لقيت وقد حللت بزنجبـ ... ـار محمد بن علي قدر في الورى
فسألت عن اوصافه فتأرجت ... افواه من وصفوه مسكا اذفرا
ندب قصارى همه أن يقتني ... حمداً ويجتاز الثنا والمفخرا
بشوارد الاداب اولع يافعا ... حتى غدا فيها يجاري الشنفرا
واذا سرى جيش الفصاحة كان في ... يده لواء الجيش والفصحى ورا
فتمسكت نفسي بذيل وداده ... ورأيتها حمدت مواصلة السرى
يا من له الاداب القت حبلها ... وعلى القوافي والعروض تأمرا
قد طالما اهديت لي درر الثنا ... ونظمت لي مدحا يفوق الجوهرا
واذا اردت بأن اكافي ما اهتدت ... للنظم افكاري لأمر قد طرا
واليوم هذا المستطاع مديحه ... غدا وما احرى بها أن تشكرا
راقت ورقت كالزلال إذ قرا ... ها يحسب القاري تحسًّا سكرا(٣١)

(٣١) من الوثائق الخاصة التي بحوزة أحفاد الشيخ محمد بن علي البرواني .

٦- العلامة الداعية السيد أحمد مشهور بن طه بن علي بن عبد الله الحداد

من كبار علماء حضرموت ، عمل على نشر الدعوة الإسلامية في الشرق الإفريقي ودخل على يديه الكثير إلى الإسلام .

نظم السيد أحمد قصيدة معتذراً بها للشيخ محمد بن علي البرواني ، "وقد نشرت هذه القصيدة بالجريدة الرسمية في زنجبار بالقسم العربي يوم السبت ١٧ جمادى الثاني ١٣٥١هـ الموافق ٩ اكتوبر ١٩٣٢م ، بعد هذه المقدمة : (يسرُّنا أن نتحف قراءنا بهذه الخُودِ الأدبية التي زفها السيد أحمد بن طه الحداد إلى صديقه الشيخ محمد بن علي البرواني ، وكان سبب إنشائها هو أن الصديقين كانا قد حددا موعداً يلتقيان فيه للتنزه والتفكه بيوانع أدبيات العرب ، فأعترض السيد عارض لم يكن في الحسبان عاقه عن انجاز الوعد ، فلم ير إذاً وسيلة يتشفع بها عند صديقه إلا هذه

القصيدة التي بين فيها عذره الطارىء المقبول والقصيدة طويلة اقتصرنا منها على نقل الابيات التي لها مساس بالحادثة فقط)"(٣٢):

أينفعني من بعد خُلْف كلامي ... تحرّق أسنانٍ وعض بنام
وشاغل وجد في الحشا وتحسر ... تخور له وهي الشداد عظامي
وتنضيد أعذار تسدد رمية ... خلافاً بها طاشت عليَّ سهامي
بلى إنّ عفواً عند داعية الجفا ... من الصادق الموفي أعزُّ مرامي
أبي الحارث الشهم الذي العفو دأبه ... وذلك أدنى فضله المتسامي
لقد رابني داع على وعد بيننا ... لأحضره من مَحْضِ عنصر حامي
عَشِيَّتَمَا وافيتُكم ووعدتُكم ... وقلت سأقضي وقفةً بذمامي
فما راعني إلا سحوق محله ... بأقصى مكان في الورى ومقام
وقد سبق السيف الملام وقادني ... وصحبي معي حكم القضا بزمام
إلى هُوّةٍ زرنا غيابات جُبِّها ... فبيني وبين المنظرين مرامي
فوا لوعتي أنّى أفي لمحمد ... بوعدي وقد جاءت جيوش ظلامِ
ووافى على الميعاد صادق وعده ... فيا ناشداً يفديك رهن هيام

(٣٢) ترجمة الإمام الداعية أحمد مشهور بن طه الحداد ، تأليف السيد حامد بن أحمد ، دار الفتح الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ،انظر ص ٤٣٢

نجا من غياب الجب وهو بوعده ... رهين فهل بشرى لحال غلامِ
وإني على فعلي لبالصفح واثق ... من ابن علي واعتصام عصامِ
حميد السجايا من يذكرنا بالصَّبا ... لطائفه الحسنى وقطر غمام
فما البرق إذ يفتَرَّ عن رسل عارض ... حفي على جدب الثرى بسجام
أبر وأسنى من تبسمه لذي ... ودادٍ على لُطْف وطيب كلام
ولما تصدى للفضائل واجتبت ... فضيلته كفواً لخير وئامِ
بذلنا لها منا الرَّفا لحقها ... علينا فقد نالت قران همام
كريم نجار من أعاظم أسرة ... ترقت من العلياء فوق سنام
فيا لك من ندب له الحلم والوفا ... وسامانِ إن يعلو امرؤ بوسام
وصافية الآداب منهل شربه ... إذا روقت جاماً متابع جام
وكم قلد الآداب من غضِّ دره ... سُمُوط معانٍ لم تنل بسوام
يحق له عقد الخناصر من أولي ... البيان وإدلاء بسلك نظام
ورابطة الآداب بين فحولها ... أمتّ من الأنساب بين رحام
ودونك نجوى من تُنازِعُه الهوى ... سكوناً به يمتد بعض جمام
فيعرب عن شكر بعفوٍ كلامُه ... ويبذل عن وسع بحلب صرام
وينصردعوى من يرى الشعر مذهبا ... على حكمة يسدي وقول سلام

٧- العلامة القاضي الشيخ سعيد بن ناصر بن سعيد بن سليم بن ناصر بن حسين بن خميس بن جاعد الغيثي الحارثي (ت ١٣٦١ هـ) .

من كبار العلماء، "نشأ في مدرسة الشيخ راشد بن سَليم بن سَالِم الغَيْثِيُّ (ت١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) التي أقامها إلى جانب بيته بزنجبار، ودَرَسَ على أيدي مُعلّميها مبادئ العلوم، ثم تتلمذ على الشيخ سيف بن ناصر بن سليمان الخَرُوصِيّ (ت١٣٤١هـ/١٩٢٣م)، والشيخ عليّ بن مُحمد بن علي الْمنْذِرِيّ (ت١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) ولازم الشيخين: عامر بن خميس بن مسعود المالكي(ت١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م) وعبد الله بن عامر بن مُهَيّل العزري (ت١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) أثناء إقامتهما بشرق إفريقيا، وحكى عنهما بعض أقوالهما في كتبه. "، "عُيّن قاضيا بالجزيرة الخضراء وزنجبار لفترة طويلة ، في زمن السلطان خليفةَ بن حَارِب بن ثُوَيْنِي

(١٣٢٩ - ١٣٨٠هـ/ ١٩١١- ١٩٦٠م)".[٣٣]

إرتبط الشيخ سعيد بن ناصر الغيثي بأبي الحارث ، ومما ورد في ذلك إشارته إليه في كتاب إيضاح التوحيد بنور التوحيد قوله : " وأبو الحارث هذا ، هو: أوسع معاصريه علما ، وأرفعهم ذكرا ..."[٣٤].

٨- الشيخ عبد الله بن حميد بن سيف السمري (ق ١٤) .

من وجهاء العرب ، كان ملازماً للقصر من صحبة السلطان خليفة بن حارب وكان أديباً يتعاطى الشعر.[٣٥]

(٣٣) الشيخ سعيد بن ناصر الغيثي .. حياته واثاره ، تأليف الشيخ سلطان بن مبارك الشيباني.

(٣٤) إيضاح التوحيد بنور التوحيد ، تأليف الشيخ سعيد بن ناصر الغيثي (ت ١٣٦١ هـ /١٩٤٢ م) الطبعة الأولى ، الجزء الاول ص٢٠٩

(٣٥) لقاء مع الشيخ عبدالله بن حمد بن سليمان الحارثي، يذكر انه من المقربين للشيخ محمد بن علي البرواني.

٩- أبناء الشيخ الجليل عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن محمد بن خميس الخروصي.

وهما المشائخ محمد وسعيد ، من وجهاء العرب ، كانوا من أقرب الناس إليه لأنهم قد تربوا في بيتٍ واحد ، فكانوا كالإخوان لا فرق بينهم ، وقد تزوج الشيخ سعيد بن عبد الله الخروصي بابنة عم الشيخ علي بن خميس البرواني وهي سليمة بنت سعيد بن سالم البروانية التي عرفت بالكرم الشديد ، وصاهر ابنهم الدكتور سعود بن محمد بن عبد الله الخروصي أبو الحارث فتزوج ابنته الوالدة نائلة .

١٠- أبناء الشيخ الجليل سيف بن سعيد بن ماجد بن سعيد بن قاسم المعمري .

عرفوا بالوجاهة والسيرة الصالحة ، تربطهم علاقة قربى ونسب بأبي الحارث فوالدتهم هي ريا بنت حميد بن راشد البروانية ، وجدتهم أم والدهم هي السيدة الجليلة

فاطمة بنت سيف بن عدي بن عامر بن راشد البروانية التي خلدت ذكرها في زنجبار ببنائها مسجدين .

١١- الشيخ مسعود بن علي بن محمد بن سالم بن ناصر الريامي (ت ١٣٧٦هـ)([٣٦])

من أكابر العرب ، عرف برجاحة العقل والسخاء الشديد حيث إنه كان ممن أنعم الله عليهم ، و الشيخ مسعود أحد حاضري مجلس السلطان الدائم لما يتمتع به من مكانة عالية بين أهالي زنجبار ، فقد كان "غوثاً للملهوف ، وعوناً للمحتاج ، وسنداً لمن لا ظهير له" ، " خدم الأمة والجمعية العربية لمدة ثلاثين عاماً تقريبا ، وكان خازناً لها لمدة عشرين عاماً ، وأمينا لجمعية ميلاد الرسول عليه الصلاة والسلام "([٣٧]) .

---

(٣٦) للمزيد من المعلومات عن هذه الشخصية ، انظر لترجمته في كتاب ((زنجبار شخصيات وأحداث))، تأليف الشيخ ناصر بن عبدالله بن مسعود الريامي.

(٣٧) ((زنجبار شخصيات وأحداث)) ص ٢٦١ و ص٢٦٩

١٢- الشيخ سالم بن محمد بن سالم بن سيف بن عبد العزيز الرواحي (ت١٣٦٦ هـ)

من وجهاء العرب ، تتلمذ على الشيخ يحيى بن خلفان الخروصي والشيخ سيف بن ناصر الخروصي ، عمل كاتباً ومستشاراً لسلاطين زنجبار ، له دور بارز في خدمة التراث وذلك عن طريق نسخه العديد من الكتب والمساهمة في طباعتها.

وفـــاتـــه :

انتقل إلى رحمة الله تعالى في ظهر يوم الثلاثاء التاسع من شهر ذي القعدة عام ١٣٥٧ هـ بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال ، وقد دفن بالمقبرة الخاصة في فوجا وشيع جثمانه خلق كثير.

ففي إحدى جرائد زنجبار ورد هذا الخبر تحت باب مصاب أليم :

" ننعي بمزيد الأسى والحزن وفاة الشيخ العلامة محمد بن علي بن خميس البرواني الذي وفاه الأجل المحتوم يوم الثلاثاء ٩ من ذي القعدة عن عمر يناهز ثمانين عاما ، ولقد شيع جنازته إلى مقره الأخير جم غفير من الأمراء والأعيان والفقهاء، وموظفو دواوين الحكومة وغيرهم من طوائف مختلفة الأجناس وكان الفقيد عالما وزعيما وقليل من أمثاله في عصرنا اليوم وله تأريخ مجيد ، نقدم تعازينا الحارة لأنجاله المشائخ هلال وعلي وأقاربه وأسرة المرحوم تغمده الله بواسع رحمته والهم ذويه الصبر والسلوان "(٣٨).

ويقول فضيلة الشيخ محمد الدهان في اجتماع جمعية نشر الثقافة الإسلامية بزنجبار : " لا أحب أن أتكلم فليس المجال مجال كلام ولعلكم تعرفون من نشاط الجمعيات التبشيرية والهيئات الإلحادية والخسارة الفادحة التي نكبت بها زنجبار في هذا العام بوفاة ثلاثة من علمائها الذين كان

(٣٨) امدتني بها الوالدة نائلة بنت محمد بن علي البروانية.

لهم أثر مشكور في خدمة الإسلام وهم المرحومون القاضي الجليل الشيخ علي العباس والعلامة الكبير الشيخ محسن البرواني واللغوي الأديب الشيخ محمد بن علي بن خميس البرواني مايغنيكم عن الكلام ويحتم عليكم البذل ويدعوكم إلى العمل السريع الحازم إبقاء على دينكم وإحياء للغتكم وحرصا على كرامتكم وإثباتا لشخصيتكم .."(٣٩)

رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ، آمين.

تم بحمد الله وعونه

أسال الله التوفيق في هذا العمل

نبهان بن تغلب بن هلال بن محمد البرواني

(٣٩) جريدة الفلق ، ص٣ ، ١٢ صفر ١٣٧٣ هـ .

رحلة أبي الحارث

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (غافر: ٨٢)

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه .

السفر

كان سفري من زنجبار يوم الجمعة ٢٠ من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٣٢ هـ ، وبموافقة ١٧ لشهر ابريل سنة ١٩١٤م ، على الباخرة الألمانية و اسمها (جتريد ورمن). وقد أخذت الجواز إلى بورت سعيد(٤٠) . ففي الساعة الرابعة(٤١) من صباح ذلك اليوم استأجرنا قارباً لنقلنا

(٤٠) بورت port أي ميناء. وهي باللغة الإنجليزية. وبورت سعيد مدينة ساحلية معروفة، وتسمّى الآن بورسعيد.

(٤١) التوقيت الذي يعتمده الكاتب هو التوقيت الغروبي المتبع حتى عهد قريب في عُمان . أنظر : محمد المحروقي ، مغامر عماني في أدغال أفريقيا .

إليها(٤٢)، وبعد وصول الباخرة بساعة أقلعت ، وبينما هي تمخر عباب اليمِّ على ضفاف مدينة زنجبار ؛ إذ لاحت مني التفاتة إلى تلك الديار التي ألفتها، ومنازل أحبائي وخلاني الذين فارقتهم، فأحسست بألم الفراق . ولم تمض بضع من الساعات حتى توارت عني أرضها :

وتلفتت عيني فمذ بعدت

عنّي الطول تلفت القلب(٤٣)

ومما خفَّف عني ذلك الألم اشتياقي لرؤية الأقطار التي أزمعت الرحيل إليها .

وما زالت الباخرة توالي سيرها حتى رست بنا الساعة ١١ مساءً في ميناء تانجا . وهو صعب المدخل، تجتنب النوتيَّة(٤٤) الدخول والخروج منه بمراكبهم ليلاً . وقد اتخذته

---

(٤٢) أي إلى السفينة الألمانية المذكورة .

(٤٣) البيت للشاعر الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين. ووردت كلمة "خفيت" مكان "بعدت"، و بكليهما يستقيم المعنى.

(٤٤) النوتيَّة : جمع نوتيٍّ ، وهو ربان السفينة . قال صريع الغواني مسلم بن الوليد يصف سفينة :

الحكومة الألمانية مرسى لسفن التجارة بعد دار السلام . وتمتد من هذه المدينة سكة حديدية إلى الداخل ، وفي أرضها يزرع مقدار عظيم من الكتّان الجيِّد ، ويُصدَّر إلى أوربا .

وظلت الباخرة فيه إلى صباح يوم الأحد ريثما أتمت تفريغ البضائع وشحن الكتّان، ثم مخرت بنا قاصدة ممباسة، فوصلناها الساعة السابعة بعد الظهر. وهي أكبر عاصمة في الأفريقية الإنجليزية، وامتازت بوجود سكة حديد فيها، تمتد منها إلى أوغندا . وقد اتسعت جداً عما كانت أولاً ، وفيها عدة قصور حسنة على الطراز الحديث. و قد ألقت الباخرة مرساها في مينائها المسمّى (كليندي) . ولما تحققتُ أن الباخرة ستتربص في الميناء إلى صباح الاثنين ؛ أحببت النزول إلى البرِّ لزيارة بعض أصحابنا هناك . فلما انتهيت إليه دخلت

تجافى بها الغوتيّ حتى كأنه يسير من الإشفاق في جبل وعر

جاء في لسان العرب : ((نات الرجل نوتاً تمايل ، وهو أيضاً في نيت . والنوتيُّ الملاّح. والجوهري ، والنواتيُّ الملاحون في البحر، وهو من كلام أهل الشام ، واحدهم نوتي ...)) . ويظهر ان النوتية والنواتي جمع لمفرد واحد هو النوتي. والأولى أقرب الى الاستخدام العاميّ .

الكمرك (٤٥)، وهناك ركبت على وتومبيل (متكار)(٤٦) إلى العاصمة ؛ لأنها تبعد عن هذا الميناء بنحو الساعة .

وبعد بضع دقائق وصلنا العاصمة ، وقابلت أصحابي هناك . جزاهم الله عني خيراً . و آثرت المبيت في تلك الليلة عندهم . و في صبيحة الاثنين عدت إلى الباخرة . وفي الساعة الخامسة أقلعت بنا ، فظلت تفري بنا أديم البحر ، و نحن لا نشاهد إلا الماء و القبة الزرقاء فوقه ، إلى صباح الجمعة .

وفي ذلك الصباح ظهرت لنا جبال حافرن(٤٧) ، فلم نزل نسايرها سحابة يومنا . وهي متسلسلة ، إلا أنه يتخللها بعض الرمول . فكنت أقف مليًّاً على مقدم الباخرة أمتع النظر بمحاسنها الطبيعية ، و أستقبل الصبا منها . فسبحان الخالق المبدع .

---

(٤٥) الكمرك والجمرك أو الجمارك شيء واحد، كلمة معرَّبة تعني نقاط الحدود الحكومية التي تفحص فيها الوثائق وتدفع الرسوم على الصادرات والواردات.

(٤٦) وتومبيل أي سيارة باللغة الفرنسية. ومتكار تعني السيارة أيضاً، باللهجة الدارجة العمانية القديمة. ولعلها من الكلمة الإنجليزية Autombile ، أضيف إليها ميم و تاء حتى تكون على وزن اسم الآلة مفعال.

(٤٧) سلسلة جبال في حضرموت.

وفي السبت ظهرت لنا من بُعدٍ الباخرة الإنجليزية تجري على أثرنا، وقد كانت راسية في ممباسة عند خروجنا منها، وقد أقلعت منها بعد خروجنا بست ساعات. ولما أحسَّ ربان مركبنا بقربها أعطى الأوامر لزيادة جري الباخرة، ولم تزل تجِدُّ في سيرها و تلك تقترب منها حتى حاذتنا جنباً بجنب. و مرت تهوي هويَّ الأجدل المنقضِّ. و غادرتنا وراءها، كأنها تبادر بسيرها نهباً مقسماً، فدخلت ميناء عدن. و دخلنا على أثرها بساعة، وقد خيّم الغسق.

عـــدن

هي مدينة مشهورة من قديم الزمن، وقد ذكرها كثير من شعراء الأوائل في شعرهم؛ منهم عمر بن أبي ربيعة في قوله:

هيهات من أمة الوهَّاب منزلنا إذا حللنا بسيف البحر من عدن

وهي تبعد عن الساحل بساعة، يفصل بينها جبل. ولم

يكن فيه طريق ، فقُطع الجبل ، ومُهدتْ فيها المسالك ، فصار لها طريق فيه ، يمتد من الساحل إليها . وقد زادت أهميتها كثيراً بعد فتح القنال . فهي ذات تجارة واسعة . يبلغ عدد سكانها الآن ٣٥ ألفاً . اشترتها إنجلترا سنة ١٨٣٩ م من الدولة العليَّة .

وتربصت الباخرة ريثما أتمت تفريغ البضائع ، فما تبلّج نور الصباح حتى مخرت بنا ؛ وذلك صبيحة الأحد . و مازال البحر صاحياً والهواء موفقاً .

وفي المساء تراءت قصور مخا ، وهي مدينة قديمة . و لم تزل الباخرة توالي سيرها إلى صبيحة الأربعاء . و أصبحنا ذلك اليوم والبحر قد هاج هائجه ، وماج مائجه ، فأصبحت الباخرة ألعوبة الأمواج ، وكانت الريح تعصف من أمامها ؛ فترمي بموج يصدم الباخرة صدمات تنقلب لها على عظمها تقلّب الغصن الرطيب . ودام الحال إلى ليلة الجمعة ، فهدأ روع العواصف ، وأتى الله بالفرج ، وأذهب اليأس والبأس ،

فلله درُّ القائل :

البحر مرُّ المذاق صعب لا جُعلتْ حاجتي إليه

أليس مـاء ونحن طين فما عسى صبرنا عليه(٤٨)

ففي فجر تلك الليلة ألقت الباخرة مرساها في ميناء السويس .

السويس

هي مدينة عظيمة ، واقعة على البحر الأحمر في مدخل القنال بالقرب من أطلال مدينة قديمة تسمّى بالقلزم ؛ التي كانت فرضة مصر والشام . وقد ذكرها الشاعر في قوله :

علوية أمست و دون مزارها مضمار مصر وعابد والقلزم

وإلى هذه المدينة ينسب هذا البحر ، وهو المكان الذي غرق فيه فرعون وجنوده. ويوجد بالسويس حوض عظيم

(٤٨) ابن رشيق القيرواني ، وقد ورد الشطر الأول للبيت الأول هكذا: "البحر صعب المرام مرُ.

لإصلاح السفن ، وأرصفة ترسو عليها السفن الكبيرة لشحن البضائع وإخراجها . ومدينة السويس تبعد من المرسى بنحو الساعة ، و يمتد بينهما خط حديدي . وتبعد عن القاهرة ١٣٥ كيلومتراً . وتصلها بالقاهرة والإسكندرية سكة حديدية . وهي الآن ذات أهمية عظيمة لوقوعها على رأس الخليج و طرف القنال .

و قد شُيِّد بها عدة أبنية جميلة ، و انتظمت شوارعها على الطراز الحديث . وبالقرب منها في آسيا يوجد وادي التيه ، الذي تاه فيه بنو إسرائيل حين خرج بهم موسى عليه السلام من مصر . و بالقرب من هذا الوادي توجد العيون المشهورة ، وهي عيون موسى عليه السلام المذكورة بقوله تعالى : ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾(٤٩) (البقرة/ ٦٠)

ومع أخذ الجواز إلى بورت سعيد أحببت النزول في هذه

(٤٩) الآية كاملة هكذا ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(٦٠).

المدينة لأريح نفسي من معاناة البحر . فنزلت من الباخرة ، وركبت في أحد القوارب ، وبعد وصولنا إلى البرِّ دخلنا في المحجر الصحيِّ ، حيث يجري فيه الكشف الطبي ، وتبخير الملابس الوسخة . و لم يكن عندنا من فضل الله ما يعوزنا إلى ذلك . ثم دخلنا إلى قلم الباسبورات ، وقيدوا أسماءنا. ثم قصدنا تواً إلى محطة السكة الحديدية ، فقطعنا التذاكر ، وركبنا القطار ، وتحرّك بنا في الساعة الثانية في صباح ذلك اليوم ، وسار بنا يطوي السهول والبطاح. ووقف بنا القطار في أثناء الطريق هنيهة على محطات الشلوفة وجنفه وفايد وسراييوم ونفشه والإسماعيلية. وهنا ترجلنا ، و تربصنا للقطار الآتي من بورت سعيد .

وبعد بضع دقائق وصل ، فركبنا فيه ، فسار بنا على سهول منبسطة قد اكتست من النبات ثوباً سندسياً قشيباً يرتاح إليه النظر . ووقف بنا القطار على جملة المحطات منها ؛ بر حماد والزقازيق و مينا القمح و بنها و قليوب .

وفي الساعة السابعة دخلنا القاهرة التي هي عاصمة مصر . فوافق قدومنا في تلك الساعة سفر والدة الخديوي إلى الأستانة ، وقد أُعدَّ لها قطار خصوصي . وقد زينت المحطة بأعلام الدول تشريفاً لها ، وتعظيماً لقدرها . وكان نزولنا بها بفندق يعرف الوكندة البرنسات ، بشارع كلوت بك في الآزبكية .

مصر

ثم قبل الشروع في ترجمة القاهرة ، وفي ذكر شيء من أحوالي ؛ ينبغي هنا أن أقدِّم كلاماً في أحوال مصر ، وتخطيطها على وجه الاختصار .

قيل سميت مصر بمصر بن مصرايم بن حام عليه السلام. وهي مملكة قديمة واقعة في شمال القارة الأفريقية الشرقي . وتتكون من أراض زراعية . وهذه الأراضي تتركب من جزئين ، وهما الوجه القبلي والوجه البحري.

وأما الوجه القبلي فالمراد به الصعيد ، وهو من أصوان إلى مدينة القاهرة، شكله تقريباً مستطيل من الأراضي الزراعية، يحدها من جهة الغرب جبال ليبيا ، و من جهة المشرق الجبال الغربية . ونهر النيل جار في وسط هذا المستطيل . ومن هذا المستطيل تتكون سبع مديريات ، وهي الحدود و قنا و جرجا والمنيا و بني سويف و الجيزة . وهناك مديرية ثامنة و هي مديرية الفيوم ؛ ولكنها خارجة عن هذا المستطيل المذكور بجزء من الجبل الغربي محاذاة لمديرية الجيزة .

وأما البحري و هو الجزء الأهم ، ويمتد من القاهرة إلى البحر الأبيض، وشكله مثلث ؛ رأسه يوجد خلف مدينة القاهرة، وقاعدته متجهة من الشرق إلى الغرب على شواطيء البحر الأبيض، من ابتداء مدينة العريش إلى مريوط . ويتكون هذا المثلث من ست مديريات ، وهي قليوبية و الشرقية و الدقهلية و المنوفية والغربية و البحيرة . ولكل هذه المديريات بلاد و بندر .

وأما هواء مصر فمعتدل طيب ؛ إلا أنه في بعض الأحيان قد لا يحمده من ألف بلادنا ، وخصوصاً في الصيف ، لأنه قد تبلغ درجة الحرارة فيه حتى تصير الريح التي تهب في النهار سموماً ، إلا أنه يتعقبها ليلاً نسمات الشمال فيترطب منها الجو .

ويبلغ عدد سكان مصر على حسب التعداد الأخير نحو (٩,٧٣٤,٤٠٥) نسمة ، الذكور منهم نحو (٤,٩٤٧,٨٥٠) ، والإناث (٤,٧٨٦,٥٥٥). وينقسم عدد السكان إلى حضريين وعربان و أنواع من تبعة الدولة العليَّة و أجانب . وأما الجنس المصري الحاضر ؛ فهو قليل من القبط و أبناء الروم و الأتراك والأكراد و الفرس و السوريين و أبناء العرب الفاتحين و غيرهم . ولم يبق من الجنس الأصلي الخالص سوى قليل من الأقباط .

ويفد إلى مصر في فصل الشتاء كثير من السيَّاح من أقطار أوربا هرباً من بردها القارس . و أشهر مزروعاتها الصيفية :

القمح والشعير والذرة والأرز و الفول و العدس و الحمص و الحلبة والكتان و السمسم وقصب السكر و البصل والحنَّاء و البطيخ والشمام و الخيار و القطن ؛ و هو أهم حاصلاتها ، و الخضروات على اختلاف أنواعها. و من فواكهها : التمر و العنب و النارنج والليمون و اليوسف أفندي والخوخ و المشمش و السفرجل والرمان و التين والموز ، ويوجد فيها الأمبا وهم يسمونه مانغو ، إلا أنه قليل ، تبلغ الحبة إلى ٣ غروش صاغ(٥٠) ، عبارة عن نصف ربية(٥١).

(٥٠) الغروش و القروش شيء واحد. و هي عملة معدنية تستعمل في مصر.
(٥١) الربية و الروبية ، هي العملة السائدة الاستعمال في شرقي أفريقيا. وهي عملة هندية.

القاهرة

ويقال لها المحروسة ، وهي أعظم مدينة في الديار المصرية والقارة الأفريقية ، و هي عاصمة مصر . يبلغ عدد سكانها (٦٠٠) ألف نسمة ، بين وطنيين و أجانب . أسست هذه المدينة العظمى سنة ٣٥٩ هجرية ، بأمر من المعز لدين الله بن إسماعيل بن المنصور على يد كاتبه و وزيره القائد جوهر الصقلي . حيث قدم من المغرب للاستيلاء على بلاد مصر من طرف مولاه المعز .

وكان الموضع الذي بنيت فيه هذه المدينة رملة يمر بها الناس عند مسيرهم من الفسطاط إلى عين الشمس. ولم يكن بها بناء سوى بستان للإخشيد و دير للنصارى. و أما الآن فقد بلغت أوج مجدها في العمارة . فهي مدينة كبيرة واسعة الأرجاء، حفيلة الأسواق كثيرة المساجد، غاصة بالخلق، ذات شوارع فخمة، أكثرها قائمة في وسط حدائق

غناء و جنائن فيحاء. وبها عدة جوامع شهيرة، وآثار أثيرة، و مشاهد مباركة، وحدائق ناضرة، ورياض زاهرة ، تخترق أكثر شوارعها المركبات الكهربائية (الترامواي)(٥٢). فمنتهى القول إنها من المدائن التي تملأ النفوس بهجة وحسناً، فلقد أجاد سليم بك العنجوري الدمشقي(٥٣) في وصف شوارعها ، حيث قال :

تلك الشوارع عرضها أمتارا ستاً بستٍ تدهش الأبصارا(٥٤)

يجري الهواء بها رخاء مطلقاً يمحو السقام و يذهب الأكدارا

تزدان بالأنوار فوق منائر فيعود ليل المدلجين نهارا

(٥٢) قطارات داخل المدينة ، تستخدم حتى الآن.

(٥٣) سليم بن روفائيل بن جرجس عنجوري (١٨٥٦-١٩٣٢ م). أديب و شاعر وعضو في المجمع العلمي العربي. مولده ووفاته بدمشق. له عدة أعمال شعرية و نثرية ؛ منها: كنز الناظم ومصباح الهائم وآية العصر وسحر هاروت.

(٥٤) الأصح أن يقول " عرضها أمتار".

شوارعها :

فمن أهم شوارعها شارع كامل باشا ، يحفّه من جانبيه أهم الفنادق ، و أعظمها و الدكاكين و مواضع القهوة الأنيقة الحافلة ، فلا تزال ترى أمام هذه القهاوي كثيراً من الكراسي ، ولا تزال غاصة بالناس إلى ثلثي الليل . فإذا دخلت قهوة منها و جلست على كرسي ؛ جاءك الخادم بكوب من النحاس و فنجان و سكر ، وصبَّ القهوة بمرأى منك . إلا أن قهوتهم لا يحسنها من ألف قهوة بلادنا . ومحلات القهوة والمطاعم في هذه المدينة لا تحصى كثرةً ، فحيثما توجَّهتَ تجدها هناك . فإذا دخلت مطعماً فأول ما تجلس يأتيك الخادم بأدوات الأكل ؛ من فوطة و ملعقة وسكين ، وغير ذلك. ثم بدفتر مكتوب فيه أسماء الطعام باللغتين العربية والفرنساوية ، فتختار ما تشاء . فإذا فرغت من الأكل أتاك الخادم ، وأنقدته قيمة ما أكلت . و أغلب ما

يبتدأ في غذائهم الشوربة ، ويختم بشيء من الحلو أو الفاكهة.

وفي الدكاكين ترى أحسن الملابس وأنفس الحلي والتحف مما يستوقف المجتاز . و قد يستخدم بعض أصحاب هذه الدكاكين إلى مائة نفر من العمال ، (و هم على درجة) من اللطف و لين الجانب ما يدعو إلى حمل الشاري على الإسراف في الشراء . و العجب أن كثيراً منهم يستخدمون بناتاً حساناً من الافرنجيات في دكاكينهم . فإذا دخلت دكاناً حرت بين أن تنظر إلى البائعة أو إلى البيَّاعة .

ويتصل بالشارع المذكور الحديقة الأزبكية وميدان إبراهيم باشا. ووسط هذا الميدان تمثاله و قد امتطى صهوة جواد ، باسطاً ذراعه الأيمن ما سكاً على سيف ، يشير به بشهامة. ويشرف على هذا الميدان دار التمثيل ، المسمّى الأوبرا. وهو قصر فخيم ، وبنيان شامخ . و لا يفتح للتمثيل إلا في فصل الشتاء. و للسُرج(٥٥) في هذا الشارع منظر فتان .

(٥٥) جمع سراج .

ويمتد هذا الشارع حتى يتصل بشارع عابدين . وينتهي هذا الأخير بميدان عابدين . و الميدان عبارة عن رحبة فسيحة أمام قصر مستطيل فخيم ، يسمّى بسرايا عابدين . بناه الخديوي إسماعيل باشا . وهذا القصر يشغل مساحة عظيمة. و هو الآن معدٌّ لاستقبال الوفود المهنئين ، و غيرهم .

ومنها شارع المغربي . و هو يبتديء من ميدان إبراهيم باشا إلى أن ينتهي بشارع سليمان باشا . تحفُّه من جانبيه قصور شاهقة ، ومنازل رائقة ، خلعت عليها الأيام جمالها .

ومنها شارع قصر النيل ، و هو ممتد على مسافة طويلة حتى ينتهي بقصر النيل. وهذا القصر يشغل مساحة عظيمة ، قائماً على ضفة النيل . و هو الآن معدٌّ لسكن العساكر .

ومنها شارع بولاق ، يبتدىء من شارع كامل باشا ، وينتهي بشارع أبي ليلى . وكلا الشارعين من جانبيهما قصور و دكاكين وقهاوي و متنزهات .

ومنها شارع كلوت بك . و هو يمتد من باب الحديد عند محطة سكة الحديد ، و ينتهي بميدان خازن دار . و ليس في هذا الشارع ما يلفت الأنظار ، إلا أنه مهم لكثرة دكاكينه . وتخترقه على طوله المركبة الكهربائية .

ومنها شارع موسكي . و هذا الشارع يبتدىء من العتبة الخضراء ، و ينتهي بالشارع الجديد . و يحفُّه من جانبيه مخازن لجميع أنواع الثياب من الحرير و الشيت(٥٦). ولا تزال تراه غاصاً بالخلق ليلاً و نهاراً .

ومنها شارع محمد علي . و هو ممتد على خط مستقيم من العتبة الخضراء إلى مسجد الرفاعي ، بقرب القلعة . ويخترق وسطه المركبة الكهربائية . و يوجد في أثنائه الكتب خانه الخديوية ، بموضع يسمّى باب الخلق . و هي جامعة لأهم الكتب . و تحتوي على كتب كثيرة بخط اليد . و يقال إنها من أجمل كتب خانات الشرق . وبجنبها دار الآثار

(٥٦) القطن .

العربية . وهي متحف عظيم يحتوي على الآثار الرخامية والحجرية والنحاسية والخزفية من عهد محمد علي باشا ، وكثير من الآثار كالأواني والحلي والأسلحة الثمينة . ورأيت من جملتها سيفاً لمحمد علي الذي كان ينازل به أعداءه ، ودرعه و خوذته وقميصه وبعض ثيابه وقد أثّر فيها البلى ، وسيف ولد إبراهيم باشا .

متاحفها :

وفي القاهرة متاحف غير هذا ، منها متحف الآثار القديمة من عهد الفراعنة المسمّى بانتيكا خانه . فإنه من أجمل متاحف الدنيا . يحتوي على مخلفات فراعنة مصر . وهو قصر بديع الإتقان ، عظيم البنيان ، من أفخر الأبنية وأضخمها و أجلها . فيه قاعات كثيرة ، مشحونة بالآثار النفسية . فيحتوي الدور الأسفل جميع الآثار الكبيرة من تماثيل ملوك الفراعنة وصفائح قبورهم ، و توابيت حجرية ،

و أجزاء من المباني الأثرية التي هي من سنة ٥٠٠٠ إلى ٣٤٠ قبل الميلاد . و الدور الأعلى يحتوي الأواني و أثاث الطباخة وأدوات الموتى من كل العصور . و مما يدهش الأبصار ويحيِّر الأفكار هناك رؤية أجسام محنطة من فراعنة مصر ، منها جثة منفتاح الذي هو فرعون موسى الذي أغرقه الله في البحر ، و نجّى بدنه بعد الغرق لقوله تعالى و هو أصدق القائلين :

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (يونس: ٩٢)

ولا يزال بدنه موجودا هناك مدرجاً في كفنه عبرة لمن اعتبر ، وقد كُتب اسمه بالهيراطيقي على موميته . و قد عثروا على هذه الجثث سنة ١٨٨١ و سنة ١٨٩٨ في دفينة الدير البحري و في بعض المقابر .

متنـزهاتها :

وأما منتزهات هذه المدينة فهي من أجمل المنتزهات . منها الحديقة الأزبكية . و هي تشغل مساحة عظيمة في وسط المدينة ، تحف بها من جميع جهاتها قصور و فنادق ظريفة وقهاوي منيفة ، ويحيط بالحديقة شبَّاك من حديد . و لكل واجهة من واجهاتها الأربعة باب يفضي إليها . و أما منظرها فمنظر عجيب ، تنتظم بكل جهاتها الأشجار ، وتفيء ظلالها الوارفة عليها نزهة للأبصار ، والماء يطَّرِد فيها ، ويتخلل جميع نواحيها. وفيها مواضع للقهوة، ومقاعد على حافات طرقها ، يجلس عليها المتفرج. وتضرب الموسيقى فيها في كل أسبوع مرة. و فيها مواضع للتزحلق . وكيفيته هو أن يلبس الإنسان نعلاً شروى(٥٧) القباقيب ، قد رُكِّبتْ على عجلات ، فتجري بـه وهو واقف من دون نقل

(٥٧) أي مثل.

رجليه. وتقع بين المتزحلقين في ذلك مسابقات و منافسات .

ومنها جزيرة بولاق، فكلها رياض وغياض، تستميل الأبصار حسناً ، و تنشرح برؤيتها الصدور، وينتابها الرجال والنساء والأولاد في كل يوم ، و على الأخص يوم الأحد ، فتراهم يمرحون فيها . وبها مقاعد من خشب يجلس عليها المتفرج، ومواضع للقهوة، ومحل للعب . و يفصل بينها والمدينة نهر النيل . و يصلها بالمدينة جسران ، أحدهما بأزاء بولاق ، و الآخر بقصر النيل . أما الأخير فإنك لا تزال تراه في وقت العصر مزدحماً للناس و العوائل ، حتى إن من شاء أن يمر فيه من جهة أخرى يعرِّض نفسه للخطر . و على كل طرفي الجسر اسطوانتان عليهما تمثال للأسد . و كنت كثيراً ما أستغرق ساعاتي بالقعود عصراً على رصيف بجنب هذا الجسر ، فكنت أرى أهل الثروة من الرجال والنساء يمرون عليه متفاخرين بما فوقهم من اللباس ، وبما تحتهم من المركوب، والتيه والعجب يلمعان من وجوههم. فثمَّ ترى

النساء يخطرن، وهن متبرجات، فطالما يذكرني ذلك بقول علي بن الجهم :

عيون المها بين الرصافة و الجسر

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

جوامعها :

ويوجد بالقاهرة مساجد كثيرة ، فهي أكثر بلاد الله مساجد، ربما يوجد منها الأربعة و الخمسة في موضع واحد، ولنقتصر على ذكر مساجدها الشهيرة . منها جامع محمد علي باشا . و هو في وسط القلعة ، و هو من أجمل العمائر . تعلوه قبة سامية في الهواء(٥٨)، وتحتها أربع قباب ، و يكتنفها مأذنتان رائعتا المنظر . من أي جهة استقبلت المدينة تراها . و أما القلعة التي بُنى الجامع فيها ؛ فهي من الآثار العظيمة لهذه المدينة ، انتدب لبنائها السلطان صلاح الدين

(٥٨) في الأصل " الهوى " ، ولا يستقيم معها المعنى ؛ إذ إن الهوى هو الميل والحب ، والهواء هو الفضاء والريح الرقيقة.

الأيوبي في خلال سنة ٥٧٨ هـ ، إلا أنه لم يحفظ الأيام من بنائها الأصلي سوى السور الخارجي من الجهة الشرقية ، وبعض أبراجها الداخلية . و بها بئر عجيبة الشكل ، قيل حفرها السلطان صلاح الدين عندما بنى القلعة ، و هي الآن معروفة ببئر يوسف ، و يُنزل إليها بدرج محكمة الصنعة منحوتة من نفس جدار البئر .

ومنها جامع الرفاعي . و هو بقرب القلعة . وهو من الجوامع الغريبة الرائقة المنظر ، الواسعة البنيان . فلهذا الجامع من التأنق والغرابة ما يعجز عن وصفه الواصفون ، فإن حيطانه كلها من الرخام العجيب الشكل ذي ألوان طبيعية ، ما يقيد الأبصار حسناً وجمالاً . فسبحان الله المبدع. وهو معقود على أعمدة من المرمر على أحسن ما يكون من الزخرفة والإتقان . و بجملته مفروش بالطنافس النفيسة الغالية الثمن .

ومنها جامع ابن طولون ، المنسوب إلى الأمير أبي العباس

أحمد بن طولون صاحب الديار المصرية المتوفى في سنة ٢٧٠ هـ . شرع في بنائه سنة ٢٥٩ هـ ، و قيل في سنة ٢٦٤ هـ. و أنفق على عمارته مائة ألف وعشرين ألف دينار . و هو الآن مهجور لا تقام فيه الصلاة ، و لا يسمح للزائر الدخول إلا بإذن من الحكومة .

ومنها جامع المؤيد . و هو جامع فخيم من أكبر جوامع مصر وأقدمها . و لا يزال على حاله ، تقام فيه الصلاة . وبحذائه باب يُسمَّى بباب المتولي ، ولبعض أهل مصر في هذا الباب اعتقادات وأوهام فاسدة. و تجدهم يتباركون به ويقبِّلونه بكمال التخشُّع والخضوع ، ويقرؤون الفاتحة ، ويعلقون على مساميره ألوية بيضاً وحمراً وسوداً ، ويزعمون أن المتولي يحضر إلى هذا الباب. وعليه رجل من الدراويش يأخذ النذور.

ومن جوامعها العتيقة جامع برقوق . و هو جامع كبير ، وله باب يسحر الألباب ببديع صنعته . و منها جامع الأزهر.

فهو من أشهر جوامع الإسلام . شرع في بنائه جوهر ، القائد الصقلي مولى المعز لدين الله سنة ٣٥٩ هـ . و كمل بناؤه سنة ٣٦١ هـ ، وترتب المتصدرون لقراءة العلم فيه سنة ٣٨٠ هـ . فقد جعل هذا الجامع مدرسة للعلم من ذلك العهد . وهو أقدم المدارس الإسلامية المشهورة في العالم. ويوجد في الأزهر الآن مكتبة عمومية بلغ ما جمع فيها نحو العشرين ألف مجلد تقريباً. ويدرِّسُ فيه ٥٨٧ مدرِّساً ، و عدد طلبة العلم فيه ١٤٩٥٩ طالباً . ومقدار ما ينفق الأزهر من خبز يومياً ١١٦٧٤ خبزاً ، و من نقود سنوياً ١٣٨٠٩ جنيهاً . وليس في الأزهر عناية تذكر بالنظافة ، فكثيراً ما ترى حصره متلطخة بالمداد ، وقد علاها الغبار وأسودَّتْ ، وذلك لقلة عناية الطلبة بالنظافة. وأما التعليم فيه فهو منحصر في النحو والصرف وعلوم الدين و الشريعة و مشتملات اللغة العربية. ولقد كان في العصر الغابر يُدَرَّسُ فيه زيادة على هذه العلوم ، فإنه كان يُدَرَّسُ كافة العلوم من العلوم العقلية

والنقلية والرياضية وعلم تقويم البلدان وعلم الطب وعلم الهيئة و الحكمة و غيرها .

مزاراتها وموالدها :

وفي القاهرة عدة مزارات ومشاهد مباركة ، منها مشهد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما . و قد بُني عليه بنيان حفيل . و المدخل إلى هذه الروضة الكريمة على مسجد عجيب البناء، معقود كله على أعمدة من المرمر ، مفروش بطنافس نفيسة. وقد حضرت للصلاة فيه مراراً ، وقد شاهدت في هذا المسجد وفي أكثر مساجد مصر عادة استحسنتها جداً، وهي قبل أن يشرع الإمام في الصلاة، و الغالب قبل صلاة الجمعة أو العشاء ، أن يقوم أحد من القرّاء فيتلو القرآن بصوت حسن وأسلوب لطيف ، مما تطير له القلوب اشتياقاً و تذوب به الأنفس احتراقاً . ولهؤلاء القرَّاء في معرفة تلاوة القرآن شأو لا يبلغه غيرهم في

العالم ، إلا أن بعضهم قد يبالغ في التلحين حتى يخرج عن حد الجواز ، فيصدق عليه قول صاحب المؤيد في بعض أعداده حيث قال :

" و في اعتقادي أن تلحين الآيات القرآنية على الطريقة المألوفة الشائعة بين المسلمين كانت أكبر دواعي انحطاطهم منذ قرون مضت إلى الآن ، لأن هذا التلحين جعل القرآن من قبيل المغاني التي تؤثر على مشاعر النفس من السامع بتأثير الصوت و أنغامه لا تأثير المعنى المقصود بالذات حتى إن السامع كثيراً ما ينتعش وجدانه سروراً أو تنفعل نفسه انفعالاً يختلف آناً فآناً من مجرد سماع صوت القاريء تلحيناً من حيث لا يعرف الآية التي يلحنها لبعد ما بينه و بين القاريء بعداً لا يمكن معه تمييز الكلمات ما هي و من أي سورة تتلى .

وبطول العهد و زيادة إلف الناس لهذه الطريقة اتخذ تلحين القرآن ضرباً من الضروب المكملة لسرور الجماعات

في الأفراح ، أو المسلية للنفوس في المآتم ، وشعائر الأحزان . و بذلك خرجت قراءة القرآن عندنا من دائرة الوحي النازل بها من عند الله إلى دائرة صناعية يستوي الأمر و النهي والزجر الشديد و القصص التاريخية و المواعظ الحسنة والدعاء، كلها تطبق على نقرات الجركا والسيكا والحجازي و العراقي و ما أشبه . فلا تقع الآية الصادعة بالحق في أمري الدنيا و الآخرة على سامع إلا كما تقع مقاطع التلحين عند سماع المغنين . تلك الآية التي كانت تلقى على سمع الأعرابي و قد امتلأ قلبه كفراً و شرًّا ، وآخر في كل جارحة من جوارحه غدر للإسلام فكأنما هي الصاعقة نزلت من السماء بأشد تأثيرها على جميع حوَّاسه فيغشاه منها ما يغشاه ثم لا يفيق، إلا و وهو صاغر أمام هذه القوة الإلهية، يبهت منها أولاً ، ويخضع لها ثانياً، أصبحت لا تؤثر على كل سامع لها بطريقة القرآن المألوفة الآن إلا كما تقع مقاطع التلحين عند سماع المغنين . إن جاد الملحِّن سمع من كل

أطراف المجلس الله الله أحسنت أحسنت ، كما يسمع المغني المطرب سواء بسواء وإلا فلا.

ثم زاد الطين بلة أن ملحني القرآن أنفسهم تفننوا في طريقة تلحينه بالتخنث بالصوت وإبداء الحركات الغريبة المختلفة في الإلقاء بما أخرجه عن كونه قرآناً إلى الغناء المحض ، ففقد السامعون بذلك كل شيء يعزى إلى قراءة القرآن وسماعه . و إذا كان القرآن كتاب الله الذي أنزل على سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم لهداية البشر و تقويم أخلاقهم و إصلاحهم في معاشهم ومعادهم يتقلب في كيفية أدائه و إلقائه إلى هذا الحد ، وتنصرف مشاعر الوجدان عند سماعه عن معانيه إلى محض مغان ، هي لجوهره الأسنى عرض عار مستعار ، فليس بغريب أن تفسد الأمة الإسلامية بهذا الفساد ، كما كان صلاحها بذلك الصلاح".أ هـ

وبخارج الجامع عدة فنادق ينزل فيها الغرباء من الحجاز و الشام واليمن و سائر البلاد الإسلامية . و هناك الكثير من

المطاعم والقهاوي على الطراز العربي ، ينتابها الغرباء .

ومنها مشهد السيدة زينب رضي الله عنها ، و عليه بناء حفيل ، وبإزائه مسجد ، و لا تزال ترى هذا المشهد غاصاً بالزوار من الرجال والنساء داعين متوسلين إلى الله سبحانه وتعالى ببركة هذا المشهد المقدَّس.

ومنها مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها. ومنها مشهد الإمام الشافعي رضي الله عنه ، و هو بموضع يُسمَّى القرافة ، عليه بناء عظيم يشهد بعظم صاحب القبر. والقرافة هذه جبّانة عظيمة تحتوي على كثير من المشاهد العظيمة . ومنها مشهد عمر بن الفارض ، و هو أيضاً بالقرافة ، وذهبنا إلى زيارته . وعلى مشهده بناء حفيل ، وبإزائه بناء في غاية التأنق ، وفيه قبر قيل لنا أن ذلك القبر لإحدى بنات الخديوي إسماعيل باشا . و بعد خروجنا توجهنا إلى زيارة قبر هناك تحت جبل يُسمِّى بقبر الإمام المغاوري . فلما انتهينا إليه وجدنا في ذلك المكان بناء متسعاً فيه غرف و مساكن قيل لنا

إنه زاوية قد بنيت باسم صاحب ذلك المشهد ، يسكن فيها قوم من الأتراك . و المدخل إلى المشهد على هذه الزاوية ، فيخترق الزائر وسط الزاوية حتى ينتهي إلى غاب عظيم تحت جبل يشغل مساحة عظيمة ، و القبر في طرف الغار .

ومن أغرب ما رأيت هناك هو بينما أنا واقف أتلو الفاتحة إذ رأيت امرأة صعدت على صخرة هناك ، وألقت نفسها عليها ، ثم تدحرجت منها إلى الأرض حتى أخذت حظها من ذلك . وبينما أتعجب من هذا الاعتقاد التدحرجي الذي لم يتح لي رؤيته في عمري ، و لا خطر في بالي أن أراه ؛ إذ قام رجل كان واقفاً هناك فحذا حذو المرأة ، إلا أنه كان تدحرجه شديداً ، حتى إنه من شدته وصل إلى المكان الذي كنت فيه واقفاً . فتزحزحت عن المكان ، لئلا يدهسني برجله ، فنأخذ كلُّنا في التدحرج .

ويعمل لجميع المشاهد في هذه المدينة في كل سنة

مواليد(٥٩). قيل يعمل في كل سنة في مدينة القاهرة وضواحيها ما يقرب من الثمانين مولداً . و لعامة المصريين في هذه المواليد قوة اعتقاد ، حتى أن من عاقه عائق يمنعه عن الزيارة يتشاءم جداً من قطع عادته ، ويتوقع شرًّا .

والمُولِد عندهم عبارة اجتماع الناس رجالاً و نساء في بضعة أيام، على مشهد صاحب ذلك المولد، للقراءة، وتوقد ليلاً السرج التي لا يحصيها العدُّ على المشهد و على جميع البيوت والدكاكين المجاورة . و قد شاهدت ذلك في مولد السيدة زينب رضي الله عنها ، ورأيت الناس رجالاً ونساء مزدحمين خارج المشهد وداخله فلم يتيسر لي سماع المولدة ، لكثرة الازدحام الذي هو كثيراً ما يفضي بسببه إلى ما لا يحمد عقباه من سرقة و خطف ودهس ، و ما أشبه ذلك . أو هو على الأقل أن يصادفك أحد فيلقيك على

(٥٩) جمع مفرده مولد. وهو حفل ديني يقام في ذكرى وفاة شيخ من شيوخ الطرق الصوفية. وربما كانت التسمية قادمة من الاحتفال الذي يقام في ذكرى المولد النبوي الكريم.

الأرض أو يدوسك بقدمه ، و إذا سألته أو عاتبته على ذلك قال لك : "معلهش"(٦٠). فهذه الكلمة قد اعتاد بها المصريون في كل شيء يحدث مما يؤذي الإنسان في حاله أو ماله أو شرفه أو عرضه ، كأنَّ هذه الكلمة عندهم عبارة عن قاض يحكم بينهم ، ويفصل في شؤونهم كلما أشكل عليهم أمر أو قام بينهم حادث . أو أنها تقوم مقام الطبيب و دوائه ، أو هي كفيلة برد الشرف المثلوم ، والعرض المكلوم .

مفارقات :

ومن الكلمات التي اعتادها المصريون كلمة "شيء لطيف" . فإنك لتلقي على مسامع صاحبك قصة يتفتت لها الأكباد ويلين الجماد ، وتصف له حالة من أتعس حالات البؤس ، وبينما تريد معونته ومشاركته إياك بألفاظ تخفف عنك ما أظناك و أبكاك ، إذا به يقول لك : "شيء لطيف" . كأن اللطافة عنده لا معنى لها إلا العذاب .

---

(٦٠) تركيب باللهجة المصرية لعبارة "ما عليك شيء".

وشاهدت في الجيزة أيضاً مولداً لأحد الأولياء ذهبنا إليه ليلاً فمررنا على أناس هناك يزمِّرون وينقرون دفّاً بأصوات شجية، فسألت عنهم، فقيل لي إنهم أهل الطريقة، وتلك طريقتهم في الذكر، فسبحلت وحوقلت(٦١)، فأخذني العجب مأخذه، و عجبت ممن له عقل ويعتقد أن تلك الأباطيل و الأضاليل من الدين.

عمرانها :

وأما بيوت مصر، و على الأخص بيوت الأغنياء، فلا شيء أجمل منها ؛ لإحكام بنائها و حسن وضعها، فهي ذات رونق وصنع بديع، مبلّطة بالرخام، مزخرفة بالنقوش الجميلة و العمد. و درجها في غاية التأنق، وطيقانها محكمة طويلة، و مراحيضها في غاية النظافة و الترتيب. و أكثر هذه البيوت قائمة في وسط حدائق غنّاء. و يبنون في جنبها

(٦١) أي أنه قال سبحان الله، و لا حول و لا قوة إلا بالله.

محلاً للجلوس ، ولاستقبال الزائرين يسمونها (سَلَمْلِك) ، على مثالها في التأنق . و قد أجاد في وصف قصور مصر سليم بك العنجوري الدمشقي ، و أصاب حيث قال :

شادت يد الإتقان في أكنافها
فللاً يناطح روقها الأقمارا(٦٢)

من كلِّ صرح باذخ ، شرفاته
تبدي متى حان الأصيل عذارى

غر الوجوه فواتناً تزري الدمى
بيضاً وسمراً خرّداً أبكارا

يختلن من فوق العروش بواسماً
جذلاً و هنَّ من النعيم سكارى

يرمقن أبناء السبيل بأعينٍ
توحي إلى أهل الهوى أسرارا

(٦٢) الروق : القرن ، ويريد به هنا أعلى نقطة بها .

حفت بجنات الأزاهر ، قد حوت

ورداً و آساً نرجساً و عرارا(٦٣)

جمعت لأسباب الهناء ذرائعاً

تولي النزيل من المنى أوطارا

يمسي و يصبح و النعيم مهاده

حتى لينسى أهله و الجارا

ولبعض أرباب هذه البيوت مراكب في النيل ، يُسمُّونها بالذهبيات ، يقيمون فيها في فصل الصيف ؛ هرباً من معمعانه ، وتنشقاً للهواء النقيِّ . و بناء هذه المراكب في غاية التأنق و حسن الترتيب . قد جمعت أسباب الراحة بحيث لم يكن ينقصهم شيء مما في بيوتهم . و قد كان العلاَّمة البحر الخُضَّم ، شارح كتاب الأم ، السيد أحمد بك الحسيني قد انتقل إلى إحدى هذه الذهبيات أثناء إقامتي بالقاهرة ،

(٦٣) العرار : شجر له ورق اصفر ، العين . قال الشاعر :
تمتّع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار

فكنت أزوره فيها . ولهذا السيد سيرة محمودة ، وطريقة سديدة ، و هو من التواضع ولين الجانب و محبة الغرباء وإقباله إليهم على وتيرة سعيدة . نفع الله به المسلمين ، وجزاه عنّا خيرا .

مصر هبة النيل :

وليس في مصر إلا نهر واحد ، وهو النيل الذي هو سبب في تكوين أراضيها الزراعية ، و أي بقعة لم يصل إليها ماؤه فهي أرض يابسة مجدبة غير قابلة للزراعة . و في زيادة النيل ونقصانه مما يحيِّر الأفكار إعجاباً ، و هو أنك ترى ماءه يزيد في كل سنة في ميعاده المحدَّد له . وقد كان رائقاً صافياً فيتغيّر لونه بسرعة ، و يرتفع بالتدريج إلى انتهاء مدته المعلومة ، فينقص شيئاً فشيئا ، و يرجع إلى مجراه الأصلي ، كما وصفه الشاعر :

واهــاً لهــذا النــيل أي عجيبة

بكر بمثل حديثها لا يسمعُ

يلقى الثرى في العام و هو مسلم

حتى إذا مـا ملَّ عـاد يودعُ

مستقبل مـثـل الهـلال فدهره

أبداً يزيد كما يريد ويرجعُ(٦٤)

و قال الآخر :

كـأنَّ النـيل ذو فـهـم ولُبٍّ

لما يبـدو لعـين الناس منهُ

فـيـأتـي حـيـن حاجتهم إليه

ويمضي حـيـن يستغنون عنهُ

ولتميم بن المعز (الفاطمي) :

يـوم لنـا بالنيـل مختصر

ولكـل وقـت مسـرّة قصرُ

والسُفْـنُ تصعد كالخيول بنا

فـيـه وجيـش الماء منحـدرُ

(٦٤) وردت الأبيات في كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار، ج١، ص٢٣-١٦٧ ، لأحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي.

فكـأنـمـا أمـواجه عُـكَـنُ(٦٥)

وكـأنـما داراتـــــه سـررُ

والسبب في فيضان النيل هو نزول الأمطار الغزيرة ببلاد الحبشة والسودان ، فإذا لم تنزل هذه الأمطار في سنة من السنين نقص فيضان النيل في تلك السنة بالنسبة لما نقص من الأمطار . و تبتدىء الأمطار المذكورة في شهر مارس ، لكن لا يظهر أثرها في نيل مصر إلا في يونيه . و سبب هذا التأخير طول المسافة التي يقطعها الماء إلى أن يدخل أرض مصر ، وما تبتلعه الرمال الجافة التي يمرُّ عليها . وأول ظهور الفيضان بمصر ليلة ١١ من شهر يونية فيتغيَّر لون مائه تدريجياً ؛ من اختلاطه بالمواد التي مرَّ عليها . ويبلغ عادة إلى نصف زيادته المعتادة في ١٥ أغسطس ، و يستمر في الزيادة إلى ٢٠ سبتمبر ، ثم ينقص تدريجياً وينحصر في مجراه الأصلي. ويستمر في النقصان إلى شهر مايو من السنة التالية ،

(٦٥) العُكَن : الأطوار في بطن الجارية السمينة . العين .

ثم يبقى على حالته التي وصل إليها تقريباً إلى زمن زيادته المعتادة سنوياً .

وأعدل مقادير زيادته عادةً سبعة أمتار تقريباً . ثم إن زاد عن فيضانه عن المقدار المذكور أفضى إلى الغرق و الإتلاف . وإن نقص أدى إلى الجدب و القحط و الغلاء .

ولأهل مصر في زيادته عادة ، وهي أن يحتفلوا له في كل سنة مرةً ، فيخرج عامة أهل مصر إلى شاطيء النيل ليشاهدوا الاحتفال . وصورة الاحتفال هو أن يركب أرباب الدولة والصولة سفينة شراعية قد زخرفت وزُيِّنت بأعلام الدول ، تقطرها سفينة بخارية تجري على النيل . و بكل بضع دقائق تطلق ضربة مدفع . و في مساء ذلك اليوم تنصب الحكومة خيمة كبيرة على شاطيء النيل ، وتبسط فيها للضيافة ، ويُدعى لها أعيان البلد .

ولقد كان لهذا النيل في قديم الزمن سنة سيئة ، فلما فتح عمرو بن العاص مصر أبطلها . قال ابن عبد الحكيم :

ولَّما فتح المسلمون مصر جاء أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل بؤونه من شهر القبط ، فقالوا :

" أيُّها الأمير إن لبلدنا هذه سنة لا يجري النيل إلا بها . وذلك أنه إذا كان لاثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها ، و جعلنا عليها من الحليِّ و الثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل ". فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون في الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما قبله.فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى(٦٦) لايجري النيل قليلاً و لا كثيراً حتى همّوا بالجلاء. فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك . فكتب إليه عمر : قد أصبت ، إن الإسلام يهدم ما قبله ، و قد بعثت إليك ببطاقة فألقها في داخل النيل إذا أتاك كتابي هذا . و إذا في كتابه " بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد ، فإن كنت تجري

(٦٦) أشهر قبطية.

من قِبَلِكَ فلا تجر ، و إن كان الواحد القهّار يجريك فنسأل الواحد القهّار أن يجريك " . قال ، فألقى عمرو بن العاص البطاقة في النيل ، وذلك قبل عيد الصليب بيوم . وكان أهل مصر تأهبوا للخروج منها والجلاء ؛ لأنه لا تقوم مصلحتهم إلا بالنيل ، فأصبحوا يوم الصليب و قد جرى النيل بقدرة الله تعالى ، وزاد ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، و انقطعت تلك السنة السيئة عن أهل مصر(٦٧) .

---

(٦٧) هذا خبر ملخص لما ورد في كتب التاريخ ، ونصه : "وقيل: إنه لما ولي عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر أتاه أهلها حين دخل بؤونة من أشهر القبط المذكورة فقالوا له: أيها الأمير، إن لنيلنا عادة أو سنة لا يجري إلا بها؛ فقال لهم: وما ذاك؛ قالوا: إنه إذا كان في اثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر يعني بؤونة عمدنا إلى جارية بكر من عند أبويها وأرضينا أبويها وأخذناها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل فيجري؛ فقال لهم عمرو بن العاص: إن هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله. فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى لا يجري النيل قليلاً ولا كثيراً حتى هموا بالجلاء؛ فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إليه عمر بن الخطاب: قد أصبت، إن الإسلام يهدم ما قبله، وقد أرسلنا إليك ببطاقة ترميها في داخل النيل إذا أتاك كتابي. فلما قدم الكتاب على عمرو بن العاص رضي الله عنه فتح البطاقة فإذا فيها:
من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر. أما بعد، فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار الذي يجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك. فعرفهم عمرو بكتاب أمير المؤمنين وبالبطاقة، ثم ألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم عيد الصليب بيوم، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لأنه لا يقيم بمصالحهم فيها إلا النيل، فأصبحوا يوم عيد الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، وقطع تلك السنة القبيحة عن أهل مصر ببركة

ضواحي القاهرة

فمن ضواحيها مصر القديمة ، التي كانت تُسمّى قديماً بالفسطاط ، و كانت عاصمة الديار المصرية قبل تأسيس القاهرة . أحدثها عمرو بن العاص عند فتحه مصر وصارت دار الإسلام ، و انتقل كرسي المملكة من مدينة الإسكندرية بعد ما كانت منزل الملك زيادة على تسعمائة سنة . و صارت من حينئذ الفسطاط دار الإمارة نزل بها أمراء مصر . فلم يزل ذلك حتى قدمت عساكر الإمام المعزِّ لدين الله الفاطمي مع كاتبه جوهر القائد ، فبنى القاهرة وصارت خلافة. واستمر سكن الرعية بالفسطاط . قيل وبلغ من وفور العمارة و كثرة الخلائق ما أربى على عامة مدن المعمورة . قيل كان

سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه". ينظر كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١، ص ١٣.

وحول النيل وأثره على الحياة الاجتماعية والاقتصادية يمكن العودة الى كتاب " النيل ومصر " ، للدكتور محمد محمود علي ابو زيد (دار الهداية ، القاهرة : ١٩٨٧م) . وإن كانت دراسته تغطي القرون الأربعة الهجرية الأولى فإنها تضم مادة مفيدة لدور النيل في حياة مصر .

فيها من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد، وثمانية آلاف شارع، وألف وسبعون حمَّاماً. قال الشاعر في مدح الفسطاط وأهلها :

حبذا الفسطاط من والدة
جنَّبت أولادها دُرَّ الجفا
يرد النيل إليها كدراً
فإذا مازج أهليها صفا
لطفوا فالمزن لا يألفهم
خجلاً لّما رآهم ألطفا(٦٨)

و قال غيره :

أحن إلى الفسطاط شوقاً و إنني
لأدعو لها أن لا يحل بها القطر(٦٩)

(٦٨) علم الدين فخر الترك أيدمر عتيق وزير الجزيرة، فوات الوفيات، ج١، ص١٤٠ .
(٦٩) القطر : المطر .

و هل في الحيا من حاجة لجنابها

وفي كـل قطر(٧٠) من جوانبها نهر

تبدَّت عـروساً و المقطَّم تاجها

ومن نيلها عقد كما انتظم الدُرُّ (٧١)

والسبب في تسميتها بالفسطاط هو أنه لما نزل عمرو بن العاص على موضع الفسطاط، وكان بها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن ضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب إليه. ثمّ لما فتحها أراد التوجّه إلى الإسكندرية لقتال من بها مِنَ الروم أمر بنزع فسطاطه من موضع الفسطاط، فإذا يمامة قد باضت في أعلاه، فقال: لقد تحرّمت بجوارنا، اقرّوا الفسطاط حتى تنقف(٧٢) وتطير فراخها. فأُقِرَّ فسطاطه، ووكّل به من يحفظه أن لا تهاج، ومضى إلى الإسكندرية، وأقام عليها ستة أشهر حتى فتحها الله عليه. فكتب إلى عمر

(٧٠) قطر: جانب.
(٧١) الشريف العقيلي.
(٧٢) تنقف: تفقس.

بن الخطاب يستأذنه في سكناها. فكتب إليه لا تنزل بالمسلمين منزلاً يحول بيني وبينهم نهر ولا بحر. فقال عمرو لأصحابه: أين ننزل؟، فقالوا : نرجع أيُّها الأمير إلى فسطاطك فنكون على ماء و صحراء. فقال للناس: نرجع إلى موضع الفسطاط ذلك .

وأما حالها الآن فقد قلَّتْ عمارتها جداً عمَّا كانت عليه، وأخنى عليها الدهر ونقضها، وأغلب مبانيها قد تولَّى عليها الخراب ، وأكثر شوارعها غير مستقيمة ، إلا أن مباني القاهرة كادت أن تتصل بمبانيها .

وأما جامعها المشهور المنسوب إلى عمرو بن العاص فقد دخلته وعاينته جامعاً كبيراً قديم البناء ، غير مزخرف . و هو أول مسجد شيّد في البلاد المصرية بعد الإسلام . يُحتفل فيه الآن في كل سنة لصلاة آخر جمعة من رمضان . قيل إن موضع هذا الجامع كان جبَّانة حاز موضعه قيسبة بن كلثوم التحبيبي ، و نزله . فلما رجعوا من الإسكندرية سأل عمرو

قيسبة في منزله هذا أن يجعله مسجداً فتصدَّق به قيسبة على المسلمين ، فبُنيّ سنة ٢١ هـ . و كان طوله خمسين ذراعاً في عرض ثلاثين ذراعاً . و يقال إنه وقف على إقامة قبلته ثمانون رجلاً من الصحابة الكرام ، منهم الزبير بن العوَّام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت و أبو الدرداء وأبو ذرّ الغفاري ، و غيرهم(٧٣) .

وعلى مقربة من مصر القديمة على شاطيء النيل ، والنيل معترض بينهما ، قرية تُعرف بالجيزة . و قد توجهت إليها في المركبة الكهربائية(٧٤) ، و دخلت في بستانها المُسمَّى بجنينة الحيوانات(٧٥). و هو في خارج هذه القرية . و قد جمع فيه كثير من عجائب مخلوقات الحيوان و الطيور ، منها

---

(٧٣) كتبت حول مصر الاسلامية العديد من الكتب مثل كتاب " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى الاتابكي (٨١٣-٨٧٤هـ) (وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر : ١٩٦٣م) ، كما نذكر هنا كتاباً وقع بين أيدينا هو : Stanley lane-poole, History of Egypt in the middle ages (Haskell house publishers LTD , New York : ١٩٦٩) .

(٧٤) هي القطار الكهربائي.

(٧٥) حديقة الحيوانات.

مجلوبة من أمريكا، ومنها من آسيا كالهند وبلاد العرب وفارس والشام، ومنها من أفريقيا كبلاد الكاب(٧٦) وبلاد الزنج و أرض المغرب. وعلى مقربة من هذه القرية توجد الأهرامات الثلاثة المسماة بأهرامات الجيزة، التي هي من عجائب الدنيا، كأنها قباب مضروبة إلا أنها محددة الأطراف، قد قامت في جو السماء، ولاسيما الاثنان منها، فإنهما يغص الجو منهما سموّاً. ولأبي الطيب المتنبي فيهما:

أين الذي الهرمان من بنيانه

ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلف الآثار عن أصحابها

حيناً و يدركها الفناء فتتبع

فهذه الأهرامات شُيِّدت قبوراً لملوك مصر. فكان أحد ملوك الفراعنة لَمَّا يُسلِّم زمام الملك يشرع في بناء قبره. وبالقرب من جهة الشرق صنم رأسه رأس إنسان، وجسمه

(٧٦) بلاد الكاب: جنوب أفريقيا الآن.

سبع(٧٧)، يُعرف بأبي الهول. وهو منحوت في الصخرة ، ولا يظهر للعيان منه اليوم إلا نصفه ، و قد طمرت رمال الصحراء النصف الثاني . و بجواره معبد قديم نازل عن وجه الأرض(٧٨) .

وتوجد تجاه هذه القرية جزيرة الروضة. ويقال إن ابنة فرعون لقيت بالقرب منها في النيل تابوت موسى عليه السلام .

ومن ضواحي القاهرة حلوان، وهي على الشاطيء الشرقي للنيل. وقد توجهت إليها، فإذا هي مدينة جميلة على موقع جميل، طيبة الهواء، وبها كثير من المباني الحسنة، وبها ولد الخليفة المشهور بالعدل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. وكان أبوه عبد العزيز خرج من مصر لما وقع الطاعون بها، فنزل حلوان فأعجبته فاتخذها

---

(٧٧) أي أسد .

(٧٨) للمزيد عن الرحلة الفرعونية يمكن العودة إلى كتاب " مصر الفرعونية " لأحمد فخري (مكتبة الأنجلو ، القاهرة : ١٩٨٣) .

سكناً، وجعل بها الحرس والأعوان، وبنى بها الدور والمساجد، وعمرها أحسن عمارة وأحكمها، وغرس نخلها وكرمها ، فقال (عبد الله) ابن قيس الرقيَّات :

سقيا لحلوان ذي الكروم و ما
صُنِّفَ من تينه و من عنبه
نخل مواقير بالقناء(٧٩) من الـ
ـبرني(٨٠) يهتز ثَمَّ في سربه
أسود سكانه الحمام فما
ينفك غربانه على رطبه(٨١)

ويوجد بها عيون مياه معدنية .

ومن ضواحي القاهرة مصر الجديدة ، و هي بمقربة من مدينة قديمة تُسمّى بعين الشمس. وقد كانت هذه المدينة في

---

(٧٩) مواقير: الوقير حمل حمار وبرذون كالوسق للبعير . وتقول : أوقرته ونخلة موقرة حملاً ، وتجمع مواقير ، اللسان .
القناء : القنو هو العذق بما عليه من الرطب ، والجمع القنوات والأقناء . العين .
(٨٠) البرني : ضرب من التمر أحمر مشرب صفرة ، كثير اللحاء ، عذب الحلاوة ، ضخم ، العين .
(٨١) وتنسب الأبيات لأبي عمرو بن أحمر الباهلي .

قديم الزمن عظيمة الطول والعرض ، متصلة البناء بمصر القديمة ، و هي احدى مدن الفراعنة .

وأما مصر الجديدة فهي حديثة البناء ، جميلة المنظر ، وقد انتظمت شوارعها غاية الانتظام . أما قصورها فتذكر بقصور الجنة ، قد جُليتْ كلها في أعظم صورة وأجملها ، فما رأيت في البلاد المصرية بلدة تعدلها في بهجتها و حسن بنائها وانتظام شوارعها . والحقيقة إنها عروسة المدائن و غرة الجنائن ، قد انتدب في بنائها إحدى الشركات البلجيكية منذ سبع سنين أو ثمان ، فبنتْ بها القصور الرائقة والفنادق الشاهقة والأسواق والمساجد والكنائس ، فهي لم تزل آخذة في العمارة كلَّ يوم .

وبها موقع للفرجة يُسمَّى لونا بارك . فهو عبارة عن حديقة فسيحة تحتوي على رياض وغياض وبرك وحياض ، تحتار عند رؤيتها الأفكار وتلتذ بمشاهدتها الأبصار ، فترى الزوارق تجري في بركها ومجاري مياهها . فمن زورق منقضٍّ

من علوٍّ مرتفعٍ إلى سطح الماء يحمل المتفرجين، و(من زورق) منسرب في سراديب تحت الأرض ومضايق مظلمة ومغائر مبهمة .

وبها أبنية تشتمل على ألاعيب شتى يقصر القلم عن وصفها . وبها محل للقهوة . و تنار هذه الحديقة بمصابيح لا تعد و لا تحصى . وينتابها ألوف من المتفرجين رجالاً ونساء. و تفتح هذه الحديقة للتفرج في كل أسبوع مرتين ليلاً. ولا بد للداخل أن يدفع شيئاً برسم الدخول .

أريـــاف مصر

وفي أثناء إقامتي بالقاهرة أجمعت أن أسافر إلى بعض الأرياف لقصد النزهة ، فسافرت مع الأخ الشيخ سعيد بن سيف المعمري، والأمير سالم بن السلطان عبد الله. فركبنا القطار متوجهين إلى الصعيد ، فوقف بنا في محطة أمبابة وبولاق التكرور والجيزة والحوامدية و البدرشين و العياط

والمتانية وكفر عمار . وهنا ترجلنا وقابلنا هناك حضرة الشيخ محمد بن محمد الأشراقي. ووجدناه قد أعدّ لنا حميراً للركوب. فركبنا الحمير، وكلما سارت بنا على حي من العرب تبادروا إلينا بالتقريب والترحيب، كما هي سجية العرب العرباء، وشنشنة(٨٢) الأدباء والنجباء . فأهل الريف أهل الكرم واللطف والدعة ولين الجانب والاحتفاء بالغريب ؛ فهم رجال الدين بعد العلماء و النجباء بخلاف المتمدنين في مصر الذين ينسبون أنفسهم إلى المدنية الغربية ولم يأخذوا منها إلا قشرها المقشرة ، فهمٌّ أحدهم أن ينافس أخاه بحسن رياشه و بزته ، وبياض هندامه و ياقته ، فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنَّع بالتواضع رياء، ويذهب بنفسه عجباً و كبرياء . يزدرون الغريب ويستصغرونه و لا يألفونه. فالغريب فيهم عادم الرفيق ، ليس له منهم معين ولا شفيق .

(٨٢) الشنشنة: الطبيعة والسجية. لسان العرب.

وبعد ساعتين من ركوبنا الحمير وصلنا قرية من قرى الأرياف، ذهب عنِّي اسمها، فنزلنا هناك، و قابلنا أهلها، و أنزلونا منزلاً مريحا ، و أكرموا مثوانا ، جزاهم الله عنَّا خيرا .

وفي مساء ذلك اليوم خرجنا نرود أكناف(٨٣) تلك البقاع، ونتفقد آثارها إلى أن انتهينا إلى مكان هناك، ووجدنا فيه بيتاً نازلاً عن وجه الأرض، قد استكشف عن عهد قريب ، بعد ما طمرته رمال الصحراء ألوفاً من السنين . فلم تزل حيطانه قائمة على حالها لم يغيرها كرُّ الجديدين . وترى فيه صفتين متقابلتين وفي وسطهما دهليز، وعليه باب يفضي إلى الخارج . فوقفنا هنيهة هناك و نحن نتأمل بما يقع عليه نظرنا ، ونتمثل عيشة أهل تلك العصور الغابرة التي هي عصور الفراعنة الأولى.

ثم طفقنا نجول في تلك المسارح ونستنشق نسيمها

(٨٣) أكناف : أكناف الوادي نواحيه . العين .

العليل ، ونتفقد الآثار إلى أن تصوبت الشمس للمغيب ، فعدنا إلى محل نزولنا ، ولزمناه ليلاً .

وفي الصباح عولنا على الرجوع إلى القاهرة ، و كان بودنا لو استطعنا البقاء في تلك القرية ثلاثة أيام على الأقل ، و لكننا مضطرون للرجوع في ذلك اليوم . فما أحلى العيش في الأرياف ، لو لا كثرة ذبابها و بقها و براغيثها في الصيف .

عوائد أهل مصر

فمن عوائدهم في الأعياد هو أن تتبادل بينهم رسائل الودِّ والهناء ، مشتملة على أدعية و أزكى التحية ، وقلما يتزاورون في الأعياد ، كما هي عوائدنا القديمة معاشر العرب. وأغلبهم يسكنون مدة أيام الأعياد في القرافات ، أي المقابر . ولبعضهم مساكن هناك معمورة لذلك . فلا أدري كيف يتسنَّى لصاحب العيد الفرح والسرور في عيده وهو بين رفات و أموات !.

ومن عوائدهم في الأعراس المنافسة و المباهاة في تبذير المال لإقامة الأفراح ، لأنه حالما تتم الخطبة اهتموا بإعداد لوازم الفرح ، مدَّعين أنَّ تبذير المال في ذلك من ضروريات الزواج .

وكيفيّة الخطبة عندهم هو أن يكلِّف العريس إحدى النساء من أهله أو من الجيران ، إن كان لا أهل له ، بالبحث عن ابنة . فتتوجه المكلفة بذلك إلى البيوت التي فيها البنات فمتى ما وجدت ابنة على وفق مرامها بعد ما نقبت في أوصافها ، ونقرت وتأملت في محاسنها ، و توسمت حتى لم يبق ما يتوسم ، أقبلت إلى العريس و طفقت تمثل لديه محاسنها ، وتعدد له أوصافها قائلة : " لها وجه مدوّرٌ كالصينية ، وأنف مثل النبقة ، و عين مثل الفنجان ، و فم كخاتم سليمان " . و بناء على ذلك يرغب العريس في الزواج فيتزوج. ثم يبتدي الفرح قبل يوم الزفاف بأيام عدة ، فيحيون ليليها بالغناء والطبل و المزمار . و في يوم الزفاف

يحضر الزوج وأهله في دار العروسة لأخذها إلى داره .

وكيفية الزفاف أن تركب العروسة على عربة مزينة تجرها أربع جياد من الخيل المطهمة ، و على مقدمتها جماعة الموسيقى ، تعزف بالألحان الشجية ، و وراءها عربات عديدة لأهلها و معازيمها . وبعضهم من يتخذ التختراوانات بدلاً من العربات .

وإذا وصلت الزفة إلى دار العريس تستقبل العروسة بالاحتفاء والتكريم والتحية والتسليم. وبعد وصولها تجلس العروسة ، وتوضع لها وسادة و تتقدم الماشطة وتبسط نحوها منديلا ، وتقول : " يا حبايب العروسة و ماشطتها " . فتتقدم أم العروسة و تلقي جزءاً من المال ، و بعدها تتقدم المعازيم و يحذون حذوها . و كلٌّ يلقي على قدر طاقته ، فيكون المجموع كلُّه للماشطة . و الماشطة عندهم هي التي تغسل البنت من يوم ولادتها إلى يوم ليلة عرسها .

وبعد ذلك يزف العريس أيضاً راجعاً إلى داره بين أصحابه وإخوانه بالشموع و غيرها على هيئة ما تقدم .

وأما عوائدهم في المآتم فهو أنه إذا مات الميت توافد إلى داره الجيران ، وعلى الأخص النساء. فتراهن هناك صارخات داخل الدار وخارجه و هنَّ يلطمن وجوههن ، ويعددن مناقب الفقيد وأوصافه بالنوح والانتحاب ، ما يدعو السامع إلى الحزن والاكتئاب. وكثير منهن يبكين و هن خاليات من الشجو فلا تسمع لهن زفرة و لا ترى في عيونهن دمعة . وقد يستأجر أهل الميت نوادب يندبن ميتهم بما تنفطر له الأكباد ، و تذوب منه قلب الجماد .

ومما يستقبح من عوائدهم خروج النساء وراء النعش إلى المقابر ، وهنَّ حاسرات الرؤوس ، مشوهات الوجوه ، في حال لا يرضى به الشرع. وعقلاء مصر يكرهون ذلك جداً ، حتى إنني في بعض الأيام كنت جالساً في دار بعض الأعيان بشبرى . و بينما أنا كذلك إذ مرت جنازة أمام الدار ، فأطل

صاحبها على نافذة هناك . ودعاني ، فأوعز عليَّ أن أشرف إلى جنازة وهو يتوجع و يتنفس الصعداء ، ويتأسف كل الأسف بما يأتينه نساء بلده ، مظهراً لشكواه.

ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة

يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وفي ليالي المآتم يرتبون القرّاء يقرؤون القرآن بالأصوات الحسان. و قد تبلغ مدة المآتم عندهم إلى أربعين يوماً . وينفقون نفقات طائلة قياماً بما يحيون من تلك الليالي ، وما يتناوله القرّاء منهم من الأجرة . ولهؤلاء القرّاء مراتب متفاوتة في تجويد القرآن ، ومعرفة القراءات ، وترقيق الصوت وتحسينه. وقد تبلغ مرتبة القاريء في شهرة القراءة على الوجه المذكور إلى أن تبلغ أجرته لإحياء ليلة واحدة عشرين جنيهاً .

السفر إلى الشام

وبعد إقامتي شهرين و نصف أجمعت أن أسافر إلى الشام ؛ قصداً لترويح النفس، و لزيارة الأماكن المقدَّسة في القدس الشريف ؛ طلباً من الله عظيم الأجر ، و جزيل الثواب . قال عليه الصلاة و السلام " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ؛ مسجدي هذا، والمسجد الحرام، ومسجد بيت المقدس . و إن الصلاة فيه خير من ألف صلاة في غيره ". فاستخرت الله في ذلك، فأخذت أهبتي، و ركبت القطار متوجهاً إلى بورت سعيد، و ذلك في صبيحة ٢٠ من شعبان.

وبعد ما جاوزنا الإسماعيلية بمسافة قصيرة انتهينا إلى بحيرة المنزلة ، فكان القنال عن يميننا، والبحيرة عن شمالنا . والعرض بين القنال والبحيرة الذي تمتد فيه السكة الحديدية بين ثلاثين قدماً وأربعين، فلم يكن منظر أبهج منه.

وفي المساء وصلنا بورت سعيد، وهي مدينة حديثة

العهد أسست في أيام محمد سعيد باشا، عند الشروع في حفر القنال ، في سنة ١٣٧٧ هجرية. وهي ميناء مهم(٨٤) على البحر الأبيض في مدخل القنال. وتنقسم إلى قسمين ؛ قسم يقال له حارة العرب، يسكنه الوطنيون، وقسم يقال له حارة الفرنج يسكنه الأجانب. وهي ذات شوارع واسعة قد انتظمت غاية في الانتظام. وعدد سكانها ٤٢٣٢٨ نفساً.

فلما نزلت فيها قيَّض القدر المحتوم بأن قادني أحد من أولئك المحتالين في بورت سعيد إلى فندق يُسمَّى امبريال. فإن صاحب هذا الفندق أحيل خلق الله في ابتزاز و استلاب ما عند المسافر. لا يردعه رادع الحياء. يقاضيك أضعافاً مضاعفة عمَّا اتفقتم عليه من الأجرة. و لا يرى في ذلك من بأس، معتقداً أن الظلم من شيم النفوس . فتباً له من خادع . وأهل بورت سعيد إذا عاملتهم وجدتهم كصاحب الفندق إلا البعض منهم ، و قليلٌ ما هم .

(٨٤) وردت في الاصل بالتأنيث ، و لعلها خطأ مطبعي .

ولعلمي أن الباخرة تزايل الثغر في مساء اليوم التالي بت في الفندق. و في الصباح خرجت للتنزُّه في أكناف المدينة. فقضيت بذلك نهاري. و في الساعة التاسعة مساء اتجهت إلى الميناء، فلما انتهيت إليه دخلت لأقيد اسمي في دفتر الحكومة، لأنها فرضت على كل مسافر أن يقيد اسمه قبل السفر. فوجدت الزحام هناك شديداً، فلم يتسن لي أن أقيد اسمي إلا بشق النفس ؛ لكثرة المسافرين. ثم خرجت ودخلت إلى قلم الصحة فقيدوا اسمي، ودفعت إليهم ٦ غروش صاغ، وأعطوني ورقة الجواز.

ثم استأجرت قارباً لنقلنا إلى الباخرة، وهي من البواخر النمساوية. ففي الساعة ١١ أقلعت، وسارت فلم يكن إلا هنيهة حتى ابتعدت عن الشطوط المصرية، والشمس قد نفضت تبرا على الأصيل، وشدت رحلها للرحيل، واصفرَّتْ غلالتها، وصارت كأنها الدينار. و أقبل شباب الليل، بعدما شاب النهار.

وفي الساعة الأولى نزلنا إلى قاعة الطعام ، فتناولنا العشاء . ثم أخذ كلٌّ منا مضجعه. فما انتبهت إلا وقد تبسم الفجر ، فقمت لأداء المكتوبة. ولم تزل الباخرة توالي سيرها إلى نحو الساعة الثامنة فظهر لنا جبل لبنان و قد اكتسى من النبات ثوباً سندسياً أخضر . وفي الساعة العاشرة رست بنا الباخرة في ميناء بيروت .

بيروت

وهي مدينة قديمة جميلة المنظر . و قد ذكرها الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان في شعره بقوله :

إذا شئت تصابرت و لا أصبر إن شئت

و لا و الله لا يصبـ ـر في البريَّة الحوت

ألا يا حبذا شخصاً حمت لقياه بيروت

وهي ميناء تجاري مهم جداً على شاطيء الأبيض ، مشهورة باعتدال هوائها ، وكثرة خيراتها. وقد وصلتها السكة

الحديدية بدمشق وحمص وحماه . وعدد سكانها ٨٠ ألفاً .

ولما كنت في الباخرة تعرفت بالحاج عبد الله علي رضا من تجار جدة، وكان قاصداً إلى طرابلس الشام ، فأشار إلى أن أنزل معه بالفندق المسمّى بقصر البحر. فنزلت معه . فإذا به قصر شامخ جميل يحيط بجهتيه البحر . ووقفت على قصيدة قالها شاعر العصر معروف الرصافي في مدح الفندق، و قد كان نازلاً به في سنة من السنين . و هي :

لعمرك إن قصر البحر قصر به يسلو مواطنه الغريب
و تمتليء العيون به ابتهاجاً إذا نظرت و تنشرح القلوب

و منها :

يقبِّل جانبيه البحر حتى كأن البحر مشغوف كئيب
أحاط به فكان له رقيباً ومغناه الأنيق له حبيب
وما هذا التموّج من هواء ولكن من هوىً، فهو الوجيب

كأنَّ الموج في الدأما(٨٥) رجال وهـذا القصر بينهم خطيب
تخاطبهم مبانيـه فيـعلـو من الأمواج تصفيق مهيب
تلم به المسرّات ازديـاراً(٨٦) فتـعرفه و تجهله الكروب

وهي طويلة.

وبينما أنا في الفندق إذ قدم ابن عمِّي الأخ راشد بن محمد البرواني، فسُرَّ كلٌّ واحد منا برؤية أخيه. وأخبرني أنه ورد المدينة منذ إحدى عشر يوماً من دمشق.

ثم خرجنا نرود أكناف المدينة. و إذا هي مدينة واسعة الرقعة طيبة البقعة، وبها شوارع واسعة، ومبان فخيمة. أكثر شوارعها يخترقها المركبة الكهربائية. وبها عدة مدارس. وهي مشهورة بمطابعها الموصوفة بجودة الطبع. إلا أنه لم يزل قسم من المدينة باقياً على هيئته القديمة.

وعـادة أغـلب تجـار بيروت إذا غربت الشمس قفلوا

(٨٥) الدأما : تدأم تداخل وتراكم ، والدأما البحر . اللسان .
(٨٦) ازديار : مصدر بمعنى زورة .

دكاكينهم، وراحوا إلى منازلهم، فهي طول الليل مقفلة. فإذا مررت بين هذه الدكاكين بعد الغروب استوحشت منها، فلا ترى من يجوس خلال تلك الديار، وصحَّ أن تتمثل بقول الشاعر :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا

أنيس و لم يسمر بمكة سامر

وبعد ما طوفنا قفلنا إلى الفندق ولزمناه ليلاً ؛ طلباً للراحة. وفي هذه الليلة عقدت النية على الشخوص إلى دمشق الشام التي يهتز لذكر اسمها طرباً قلب كلِّ سامع. وبت ليلتي وأنا في هاجس من رؤية مدينة دمشق .

وفي الصباح انطلقنا إلى السكة الحديدية، وكانت إذ ذاك الساعة الأولى. فركبنا القطار، فسار بنا يطوي الأرض. وبعد هنيهة دخلنا في نفق وظلمة تحت جبل، وخرجنا منه وانتهينا إلى نفق آخر . ولم نزل نخرج من نفق وندخل في آخر إلى أن

طلعنا من جبل لبنان . ولما ارتفعنا عن سطح البحر راق لنا منظر البحر . والجبل كلُّه مجلل بالكروم ، و هي بدون عروش ، ولا ترتفع عن شبرين. وترى عناقيد العنب تتدلى إلى الأرض .

ولم يزل القطار يخترق بنا الجبال الشمّاء ، وهو يتلوى ويتعرج في سيره يمنة ويساراً ، ويصعد بنا تارة و يهبط أخرى ، إلى أن جاوزنا لبنان . فانتهينا إلى سهل فسيح تنشرح برؤيته الصدور . وبعد قليل وصلنا محطة تُسمَّى رياق ، والشمس قد بلغت كبد السماء فوقف بنا القطار هنيهة. ثم سار بنا في طريق تحف به من جانبيه الأشجار من التفاح والمشمش والخوخ والرمان والتين ، وقد مدت أغصانها على الطريق ، واشتبكت. وعلى شمالنا نهر يسايرنا. واستمر الحال على هذا المنوال حتى بلغنا محطة دمشق ، وكانت الساعة ١١ فنزلنا وتوجهنا إلى الفندق المُسمَّى بلوكندة القدس(٨٧).

(٨٧) لوكندة : كلمة فرنسية تعني النـُزُل أو الفندق الصغير.

دمشق

يقال لها جيرون و جلق و الفيحاء و الشام .قيل إنها من أقدم مدن العالم . قد استولى عليها الآشوريون و البابليون و المصريون والفرس واليونان و الرومان .

وفي سنة ١٤ للهجرة فتحها المسلمون و استعمل عليها عمر رضي الله عنه معاوية بن أبي سفيان . ثم إنه في سنة ٤١ بايعه الناس بالخلافة فيها ، ومن ذلك الحين تأسست دولة بني أمية ، وجعلت دمشق قاعدة المملكة الإسلامية . وبلغت دمشق في ذلك العهد قمة مجدها. وعدد ملوكها من الخلفاء ١٤ ، أولهم معاوية ، وآخرهم مروان الثاني. وفي سنة ١٣٢هـ حصر دمشق عبد الله بن علي قائد عساكر السفاح من بني العباس بعد أن هزم مروان شرَّ هزيمة ، واستولى عليها.

ثم لم تزل تنتابها اليد الغالبة إلى أن استولى عليها السلطان سليم العثماني سنة ١٥١٦ م ، فدخلت في حوزة

العثمانيين من ذلك الحين ولا تزال(٨٨) . و أما مدينة دمشق فهي كثيرة البساتين والمياه في مستوى من الأرض . تحيط بها من جميع جهاتها الجبال. وبها جبل قاسيون. فيها مغائر كثيرة ، و كهوف و آثار الأنبياء والصالحين.

وقد أكثر الناس والشعراء في وصفها و وصف غوطتها . قال أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي : " جنان الدنيا أربع ؛ غوطة دمشق، وصغد سمرقند، وشعب بوان، وجزيرة الأبلة. وقد رأيتها كلَّها ، وأفضلها دمشق " .

وقال ابن جبير: " و أما دمشق فهي جنة المشرق، وخاتمة بلاد الإسلام التي استقريناها . وعروس المدن التي جليناها . قد تحلت بأزهار الرياحين وتجلت في حلل سندسية من البساتين. وحلت من موضع الحسن بالمكان المكين. وتزينت في منصتها أجمل تزيين. ظل ظليل وماء سلسبيل. تنساب مذانبه انسياب الأراقم بكل سبيل و رياض . و قد سئمت

(٨٨) في أيام رحلته من سنة ١٩١٤م.

أرضها كثرة الماء حتى اشتاقت إلى الظمأ ، فتكاد تناديك بها الصم الصلاب . اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . وقد أحدقت البساتين بها إحداق الهالة بالقمر ، والأكمام بالثغر. و امتدت بشرقها غوطتها الخضراء امتداد البصر " .

قال شرف الدين بن محسن(٨٩) :

دمشق فبي شوق إليها مبرح وإن لجَّ واشٍ أو ألحَّ عـــــذولُ
بلاد بها الحصباء درٌّ وتربها عبير وأنفاس الشمال شمولُ(٩٠)
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق وصحَّ نسيم الروض وهو عليلُ

وقال العرقلة الدمشقي الكلبي :

أمّا دمشق فجنات معجلة للطالبين بها الولدان والحُورُ
ما صاح فيها على أوتاره قمر إلا وغنّاه قمري و شحرورُ
ياحبذا و دروع الماء تنسجها أنامل الريح إلا أنها زورُ

(٨٩) شرف الدين محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن (٥٤٩-٦٢٠هـ/١١٥٤-١٢٣٢م) .
(٩٠) الشمال الريح الباردة التي تهب من الشمال . الشمول اسم من أسماء الخمرة .

وقال أبو الحسن على بن موسى الغرناطي(٩١) :

خيِّم بجلق بين الكأس والـوتر ... في جـنة هـي ملء السمع والبصرِ
ومتِّع الطرف من مرأى محاسنه ... وروِّض الفكر بين الروض والنهرِ
وأنظر إلى ذهبيات الأصيل بها ... واسمع إلى نغمات الطير في الشجرِ
وقـل لمن لام في لـذاتـه بشراً ... دعني فإنك عندي من سوى البشرِ

وقال فيها أيضاً :

أمـا دمـشـق فجـنة ... ينسى بهـا الـوطن الغريبْ
لله أيـام الـسـبـو ... ت بها ومنظرها العجيبْ
انظر بعينك هل ترى ... إلا محـبـاً أو حـبيـبْ
في مـوطـن غنّى الحما ... م بـه على روض القضيبْ
وغـدت أزاهر روضه ... تخـتال في فـرح وطـيبْ

وقال الصنوبري(٩٢) :

صفت دنيا دمشق لقاطنيها ... فلست ترى بغير دمشق دنيا
تفيض جداول البلّور فيها ... خـلال حـدائق ينبتن وشيا

---

(٩١) وتنسب الأبيات لعبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين محمد الحسيني (١٠٤٨-١٠٨١هـ/ ١٦٣٨-١٦٧٠م) .

(٩٢) أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي الانطاكي .

مكللة فواكههن أبهى الـ ـمناظر في مناظرنا وأهيا
فمن تفاحة لم تعد خداً و من أترجة لم تعد ثديا

ويقدَّر عدد سكانها بنحو ٣٠٠٠٠٠نسمة(٩٣)، أكثرهم من المسلمين العرب . وأما هواؤها فمعتدل جيد إلا في الخريف بسبب تكاثر المستنقعات . و تحيط بالمدينة بساتين الفاكهة، وهي الغوطة تمتد بضعة أميال إلى كل ناحية. يخترقها النهر .

والمياه في دمشق و غوطتها لا تسل عن كثرتها . حدِّق ولا حرج . فقلَّ أن تمرَّ بحائط إلا و الماء يخرج منه في أنبوب إلى حوض. أو تدخل داراً إلا و في وسطها فسقية يتدفق منها الماء. و من أنهرها بردى و يزيد والدبران و ثورا والقنوات وباناس و عقربا . و قال بعض الشعراء(٩٤) يذكر هذه الأنهر من قصيدة :

---

(٩٣) خمسمائة ألف نسخة .
(٩٤) الأبيات لعماد الدين محمد بن محمد بن صفيّ الدين بن نفيس الدين الأصبهاني (٥١٩-٥٩٧هـ/ ١١٢٥-١٢٠١م) .

إلى ناس باناس لي صـــبوة لها الوجد داع و الذكرى مثيرْ
يـزيد اشـــتياقاً و ينـمو كما يـزيـد يـزيـد وثـــورا يـثـورْ
ومـــن بردى برد قلبي المشو ق فـها أنـا مـــن حرِّه مستجيرْ

وقال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه يذكر بردى :

لله درُّ عـصـابـة نـادمـتـهم
يـومـاً بجلق في الزمان الأولِ
أولاد جفنة حول قبر أبيهم
قبر ابن مـارية الكريم المفضلِ
يسقون من ورد البريـص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسلِ

وكـان الفنـدق الـذي نزلـت فيـه علـى شـارع يخترقـه في وسـطه نهـر بـردى. و يحـف بـالنهر مـن جانبيـه أشـجار تفـيء ظلالهـا عليـه ، والـشارع ممتـد في خـط مـستقيم إلى خـارج المدينة. فما كان أبهج منظره .

ويوجد في خارج المدينة محلات للنزهة، ومواضع للقهوة ينتابها كثير من الخلق ؛ لأن من عوائد أهل دمشق إذا آن وقت العصر خرجوا للتفرج إلى خارج المدينة بأهلهم وأولادهم ، يقضون ساعة أو ساعات هناك، يتسامرون ويتجاذبون أطراف الحديث . وكنت في مدة إقامتي بدمشق أخرج في كلِّ يوم عصراً للنزهة، تارة خارج المدينة، وأخرى إلى الصالحية. وهي قرية جميلة في سفح جبل قاسيون، تشرف على دمشق وغوطتها. وبها جملة مزارات، منها مزار الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه .

وأما شوارع دمشق فأكثرها ضيِّقة ، و يخترق بعضها المركبة الكهربائية.وأسواقها مظلمة، فوقها سقوف مستديرة ؛ اتقاءً للحرِّ، إلا أنها ذات أهمية كبرى في التجارة.وهي تحتوي على ٩٠ دكاناً.وكلٌّ منها خاص بصنف من أصناف المبيعات.

وأما منازلها فداخلها أجمل من خارجها . فإذا دخلت داراً منها راق لك منظرها ، فتجد في وسطها فسقية يتدفق

منها الماء، وحولها الأشجار وأنواع الرياحين والأزهار مما ترتاح له القلوب، وتزول عنها الكروب .

أما بناؤها فالغالب من خشب وطين، فيبنونها مع قطع خشب يعارضون بعضها ببعض، ثم يطيِّنونها، فتجدها طبقات بعضها فوق بعض .

ويوجد بدمشق ٦٠ حماماً ، و هي من أحسن حمامات الشام انتظاماً واتقاناً ، و١٥٣ جامعاً ، أشهرها الجامع الأموي . فإنه جامع فخيم البناء ، جدير بالمدح و الإطراء . وكان مكانه في أيام الأراميين هيكل عظيم لمعبودهم رامون . و في أيام ثيودوسيوس ، حوله كنيسة مسيحية باسم القديس يوحنا (يحيى).

ومازال كذلك حتى فتح المسلمون دمشق فدخل خالد بن الوليد رضي الله عنه من إحدى جهاتها عنوة ، فانتهى إلى نصف الكنيسة . ودخل أبو عبيدة بن الجرَّاح رضي الله عنه من الجهة الغربية صلحاً فانتهى إلى نصف الكنيسة .

فصنع المسلمون من نصف الكنيسة الذي دخلوه عنوة، وهو الجانب الشرقي، مسجداً، و بقي النصف الذي صالحوا عليه ، و هو الجانب الغربي كنيسة بأيدي النصارى إلى أيام الوليد بن عبد الملك ، المتوفى سنة ٩٦ هـ ، فعوضهم منه الوليد فأبوا ذلك فانتزعه منهم قهراً . و كانوا يزعمون أن الذي يهدم كنيستهم يُجَنُّ. فبادر الوليد و قال أنا أول من يجن في سبيل الله ، و جعل يهدم بنفسه . فلما رأى المسلمون ذلك تتابعوا على هدمه . و أكذب الله زعمهم ، و أصبح كلُّه للمسلمين .

ثم استقدم البنائين من القسطنطينية و غيرها ، فكان عددهم اثني عشر ألف عامل . فبنوا الجامع ، و بالغوا في اتقانه و ترتيبه بالفسيفساء، وأنواع من الأصبغة الغريبة قد مُثِّلَتْ أشجاراً، وفُرِّعَتْ أغصاناً، منظومة بالفصوص ببدائع الصنعة ، ما يعجز عن وصفه الواصفون .

وكان الابتداء بعمارته في سنة ٧٧ هـ ، و قيل ٨٨ هـ . ويقال إنه بلغ ما أنفق في بنائه مائة صندوق . في كل صندوق ٢٢٨ ألف دينار . فالمجموع ٢٢ مليوناً و ثمانمائة ألف دينار . عبارة عن ١١ مليون وأربعمائة جنيه .

وحكي أنه ضجَّ الناس استعظاماً لما أنفق الوليد في الجامع ، وقالوا أخذ بيوت أموال المسلمين و أنفقها فيما لا فائدة لهم فيه . قال فخاطبهم و قال : " بلغني أنكم تقولون و تقولون و في بيت مالكم عطاء ثماني عشرة سنة إذا لم تدخل لكم فيها حبة قمح " . فسكت الناس .

وكانت المصابيح التي تعلق فيه نحو ٦٠٠ مصباح من الذهب الوهاج . فقد وصفه بعض أهل دمشق فقال : " هو جامع المحاسن ، كامل الغرائب. معدود من إحدى العجائب . قد زُوَّر(٩٥) بعض فرشه بالرخام . و أُلِّف على أحسن تركيب ونظام. وفوق ذلك فص مقداره متفقة وصنعته

(٩٥) أي زخرف .

مؤلفة بساطه يكاد يقطر ذهبا، ويشتعل لهبا . و هو منزَّه عن صور الحيوان إلى صنوف النبات، وفنون الأغصان. لكنْ لا تجنى إلا بالأبصار . ولا يدخل عليها الفساد كما يدخل على الأشجار و الثمار، بل باقية على طول الزمان ، مدركة بالعيان في كلِّ أوان. لا يمسه عطش مع فقدان القطر، و لا يعتريها ذبول مع تصاريف الدهر .

وقد توالت على الجامع عدة نكبات ؛ من حريق وتهدم. وجدد بناؤه بعدها إلا أنه ذهب أكثر رخامه فاستحال(٩٦).

وللجامع أربعة أبواب في شرقيِّه باب جيرون، وفي غربيِّه باب البريد، وفي القبلة باب الزيادة ، وفي دبرها باب الفراديس . وطوله مائتا خطوة ، و هما ثلاثمائة ذراع .

وأول دخولي الجامع دخلته من باب البريد، فانتهيت إلى صحن واسع، مساحته ٤٣٠ قدماً في ١٥٠ قدماً. ومنظر هذا الصحن من أجمل المناظر وأحسنها . و فيه ثلاث قباب،

(٩٦) أي تغيَّر.

ومن هذه القباب قبة للوضوء ، و قد استدار تحتها صهريج من الرخام كبير، يجري الماء فيه دائماً من عمود رخام مثمَّن، قد قام في وسط الصهريج . و يطوف بالصحن بلاط من ثلاث جهاته ؛ الشرقية والغربية و الشمالية . و هو قائم على أعمدة ، تقل أبواباً مقوَّسة .

ثم تمشَّيت إلى جهة اليمين ، فدخلت المسجد . و هو قائم على أساطين و أقواس عديدة ، في ثلاثة صفوف ، وفي وسطه قبة شاهقة، تُسمَّى قبة النسر ؛ لعلوِّها ، أو مشابهتها للنسر . والرواقان على جانبيها كجناحيه . و فيه أربعة محاريب لأصحاب المذاهب الأربعة . و فيه من التأنق والغرابة ما يعجز عن وصفه الواصفون. وبجانب القبة قبر سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام ، يقال إن فيه رأسه .

وبدمشق عدة فنادق ومطاعم، وكلُّها ظريفة ونظيفة، والطعام فيها رخيص جداً. وبها كثير من الفواكه الطيبة اللذيذة ، وهي في غاية الجودة والرخص . ومن فواكهها

العنب والرمان والتفاح والمشمش و التين .

وبها عدة مشاهد ، منها قبر أبي الدرداء ، وقبر زوجته أم الدرداء ، رضي الله عنهما. وقبور جماعة من الصحابة ، رضي الله عنهم ، كفضالة بن عبيد ، وسهل بن الحنظلية ، من الذين بايعوا رسول الله صلّى الله عليه و سلم تحت الشجرة . و معاوية بن أبي سفيان ، و أثلة بن الأسقع ، وبلال مؤذن رسول الله ، صلَّى الله عليه وسلَّم ، رضي الله عنهم . و كثير من قبور التابعين و الأولياء والصالحين . و بها قبر السلطان صلاح الدين الأيوبي .

والدمشقيون أهل اللطف و الدعة و الكرم . فهم على طريقة حسنة ، فلا تلق منهم إلا ذا وجه طلق ، و كلمة لينة. ومن مآثرهم صون نسائهم و التزامهن البيوت ليلاً ، فلا تظهر بالليل في زقاق من الأزقة قطعاً .

وكان انفصالي من دمشق صبيحة ٢٨ من شعبان ،

فركبت القطار راجعاً إلى بيروت . و وصلناها مساء ، فنزلت في الفندق ، وقضيت في اليوم التالي نهاري كلَّه في النزهة . و في مساء ٣٠ من شعبان سافرت منها في الباخرة النمساوية قاصداً إلى يافا . وسارت بنا الباخرة طول الليل . و في الصباح لاحت لنا قصور يافا . و بعد ساعتين رست بنا ، فازدحمت القوارب تحت الباخرة ، و طلع أربابها إلى ظهر الباخرة ، وكلٌّ منهم يسابق صاحبه في احتواء الركاب إلى قاربه ، فاشتد هناك الزحام و الخصام .

ومرسى يافا مشهور بشدة اضطراب أمواجه . فلم تهدأ فيه العواصف . ووافق قدومنا من فضل الله بعض السكون ، فحمدنا الله على ذلك . و نزلنا إلى البرِّ بسلام ، و الحمد لله على المنَّة .

يـافـا

هـي مدينـة قديمـة طيبـة الهـواء. ومنظرهـا مـن خارجهـا أجمـل مـن داخلـها. و لم يـزل قـسم منهـا باقيـاً علـى هيئتـه القديمة ؛ فأغلب طرقها ضيقة، غير مستقيمة ولا متساوية ، ففي بعـض المواضـع يُصْعَد إليهـا بـدرج . و في خـارج المدينـة عـدة فنـادق ، و قـصور جميلـة تحـيط بهـا بـساتين الفواكـه والأزهار .

وفي الساعة السابعة بعد الظهر قصدت إلى المحطة للسفر إلى القـدس الـشريف . فركبـت القطـار ، فتحـرك بنـا نحـو الساعة الثامنة . فسار بنا، يطوي السهول والبطاح، ويخترق الجبال والوهاد، ويصعد بنا تارة ، ويهبط أخرى ، و الجبال تكتنفنـا مـن الجـانبين . وعنـد الأصـيل وصـلنا محطـة القـدس الـشريف . و وجـدنا علـى المحطـة عـدة عربـات ، فركبـت في واحدة منها إلى أحد الفنادق .

القدس

ويُسمَّى بيت المقدس والبيت المقدَّس . و كان قديماً يُسمَّى اورشليم. و هي مدينة قديمة من أشهر المدن ، واقعة بين جبلين . بناها سليمان بن داؤود عليه السلام ، ثم خرَّبها بخت نصر ، ثم بناها ثانياً بعض ملوك الفرس ، ثم خربه طيطوس ملك الروم ، ثم بُنى و رُمِّم .

ويحيط بالمدينة سور من بناء السلطان سليمان العثماني . و له ثمانية أبواب ؛ بعضها مقفل منذ أزمان . و لم يزل بناء المدينة على النمط القديم . و شوارعها ضيِّقة ، غير منظَّمة إلا ما كان في خارج السور .

وفي القدس آثار كثيرة ، و أشهر الآثار الحرم الشريف . و بعد وصولي الفندق خرجت قاصداً إلى الحرم الشريف ، و لَمَّا انتهيت إليه دخلت من أحد أبوابه ، فانتهيت إلى مساحة عظيمة ، وهي ساحة الحرم. وطول الحرم سبعمائة و اثنان

وخمسون ذراعاً . وعرضه أربعمائة وخمسة و ثلاثون ذراعاً. يحدُّه من الشرق سور المدينة ، و وراءه وادي قدرون ، و من الجنوب سورها أيضاً . و من الشمال و الغرب أبنية المدينة . و كلُّه مكشوف الفضاء سوى المسجد الأقصى فإنه مسقوف بصفة فائقة ، و أصبغة رائقة . و موقعه في الجانب الشرقي من الحرم . أساسه من عمل داؤد ، عليه السلام .

وفي وسط الحرم مصطبة(٩٧) عظيمة في ارتفاع نحو خمسة أذرع. يصعد إليها الناس من عدة مواضع بدرج. وفي وسط هذه المصطبة قبة عظيمة ، و هي قبة الصخرة التي تزار . وبجانبها نحو الشرق قبة صغيرة اسمها قبة السلسلة . ونحو الشمال المعراج ، و قبة النبي ، وقبة الأرواح .

وأمَّا قبة الصخرة فإنها بديعة الشكل جميلة المنظر ، جدرانها مثمنة الأضلاع. فيها أربعة أبواب ، طول الضلع الواحد ٧٧ قدماً وبعض القدم. وفي كلِّ ضلع سبعة شبابيك.

(٩٧) بناء مرتفع قدْر المتر أو المترين، وغير مسقوف، يكون داخل بناء أو فناء.

وأكثرها مصفَّحة بالرخام في غاية من الجمال . و أما قبة السلسة فهي قائمة على أعمدة مكشوفة حسنة مليحة .

ومن عجائب الأشياء التي اتخذها سليمان، عليه السلام، في بيت المقدس كانت فيها سلسلة معلقة ينالها صاحب الحق، ولا ينالها المبطل. قيل ومن هذه العجائب أنه بنى بيتاً وأحكمه وصقله ، فإذا دخل فيه الفاجر و الورع تبين الفاجر من الورع ؛ لأن الورع كان يظهر خياله في الحائط أبيضاً ، و الفاجر يظهر خياله أسوداً .

وأما قبة المعراج فيقال إنها المكان الذي عرج منه عليه الصلاة والسلام إلى السماء . دخلت قبة الصخرة فإذا هي قائمة على أعمدة من المرمر، مصفَّح أسفلها بالنحاس، وفي وسطها الصخرة الكريمة. و هي صخرة كبيرة يحيط بها حاجز. و طول الصخرة ٥٨ قدماً، وعرضها ٤٤ قدماً، وعلوُّها معظمه ستة أقدام فوق أرض البناء، المحيطة بها . وتحتها مغارة، ارتفاعها نحو قامة، ينزل إليها درج . فنزلت،

و لم يتأت لي أن أرى ما هناك لشدة الظلمة . و أمَّا حائط القبة من داخلها فكلُّه مزخرف بالفسيفساء على أحسن ما يكون من الزخرفة والإتقان . وكلُّها مفروشة بالطنافس النفيسة ، والسجاجيد الغالية الثمن .

ثم خرجت من قبة الصخرة فمشيت من بابها القبلي إلى أن نزلت من المصطبة . فمشيت أيضاً إلى أن انتهيت إلى المسجد الأقصى ودخلته من بابه الشمالي . و هو مسجد فخيم طويل فسيح ، يسع الألوف من المصلين ، معقود على أعمدة من المرمر ، مزيَّن مثل زينة قبة الصخرة. وفي صدر المسجد محراب في غاية الحسن و التأنق .

ثم اتجهت إلى اليسار فانتهيت إلى محراب هناك ، قيل لي إنه المحراب الذي صلَّى فيه سيدنا عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، حين قدم إلى بيت المقدس . و إن ذلك الموضع كان مكانه كنيسة ، والمحراب من بقايا بنائها . و لم تزل صور ورسوم للديانة النصرانية باقية عليه . و كذلك بعض حيطان

المسجد يقال إنه من بنائها . ويظهر أنه كذلك لأنه لا يختلف عن بناء الكنائس . و قضيت في زيارة الجامع ومشاهدة بديع صنعته ساعات ، وقد حضرت صلاة التراويح فيه ، فالحمد لله على ذلك ، ونسأل الله سبحانه و تعالى القبول .

وعدت إلى الفندق بعد هزيع من الليل ، و كان خاتمة المطاف وفاتحة الألطاف عند وصولي الفندق أن تعرفت بالشيخ الجليل ، ذي المجد الأثيل ، ذي الأخلاق المرضية ، و النفس الأبية ، من هو بأسنى المحامد مذكور ؛ السيد عبد النبي المذكور . فلله دره من شهم يذوب طلاقة وبشرا ، ويحن للغريب لطفاً و برًّا . و هو من أعيان مصر من بيت شرف و مجد ، يناهض الخمسين . و قد ورد إلى بيت المقدس هو و أحد أنجاله قصداً لزيارة الأماكن المقدسة . و بما أنه كان في تلك الليلة مصمماً للعزم على زيارة الأنبياء عليهم أفضل الصلاة و السلام في الخليل أشار إلي في ذلك ، فعقدت النية معه . وقد أعدَّ حضرته عربة للركوب .

ففي الساعة الثامنة ليلاً أتانا العربجي(٩٨) وعربته ، فأطرق علينا الباب ، فقمنا من مضاجعنا ، ونزلنا . و ركبنا العربة تجرها أربع جياد من الخيل . فسارت بنا إلى أن بدت طلائع الصبح ، فنزلنا لأداء المكتوبة . ثم ركبنا ، و لم تزل تجري بنا إلى أن وصلنا الخليل والساعة إذ ذاك نحو الساعة الثالثة صباحاً . فترجلنا و توجهنا إلى جامع الخليل الذي فيه قبور الأنبياء ، عليهم الصلاة و السلام.

فمررنا بين أسواق ضيقة و منازل قديمة إلى أن انتهينا إلى الجامع. فدخلناه ، فإذا هو جامع فخيم يحتوي على قبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب وزوجاتهم ، عليهم السلام ، وقبر يوسف ، عليه السلام. وكلٌّ منها مكسو بالديباج المطرَّز بالآيات و الكتابات والنقوش الجميلة. و على كلٍّ قبر اسم صاحبه ، و آيات تتعلق به . وطول الجامع ١٩٧ قدماً ،

(٩٨) العربجي : سائس عربة تجرها الخيل .

وعرضه ١١١ قدماً . قيل إن أصله من بناء اليهود ، ثم صار كنيسة ، وبعد الفتح جعله المسلمون جامعاً .

وأمَّا مدينة الخليل فهي مدينة قديمة ، كانت مأوى الأنبياء ومسكنهم ، عليهم أفضل الصلاة والسلام. وكانت قديماً تُسمَّى حبرون . تبعد عن القدس الشريف ١٨ ميلاً. عدد سكانها الآن نحو ١٠٠٠ نسمة ، أكثرهم المسلمون .

وبعد ما فزنا بزيارة أولئك الأنبياء ، عليهم أفضل الصلاة والسلام قفلنا راجعين إلى القدس الشريف. ووصلناها الساعة الثامنة مساء. وبعد الوصول خرجت لزيارة بعض المشاهد بالقدس . وفي الحرم الشريف قبر سيدنا سليمان ، عليه السلام ، وعلى القبر كسوة ، وعليها اسم صاحبة السيرة المرضية ، والهمة السنيَّة بنت سالم بن سعيد الحارثية ، والدة الشيخ سالم بن سلطان الريامي . فإنها لماَّ قدمت إلى القدس الشريف كست القبر بهذه الكسوة ، وعملتها على نفقتها تقرُّباً إلى الله ، و الله يجزي المحسنين .

وفي تلك الليلة حضرت أيضاً لصلاة التراويح في الجامع المكرَّم. وبتنا في الفندق. وفي الصباح انطلقنا إلى المحطة للسفر إلى يافا . فركبنا القطار ، و تحرَّك بنا نحو الساعة الثانية صباحاً . و عند الظهر وصلنا يافا بسلام ، و نزلنا في لوكندة مصر. ثم قصدت مع السيد عبد رب النبي إلى وكالة البواخر الخديوية ؛ لابتياع التذاكر، وللاستعلام عن ميعاد السفر . فأخبرونا بأن الباخرة تزايل ثغر يافا في مساء اليوم التالي . فقضينا بقية ذلك النهار في النزهة ، و دخلنا في أحد جوامع يافا فوجدنا في الجامع عدة مساكن يأوي إليها الغرباء والعلماء و الصلحاء و الفقراء ، فتلقى لكل واحد منهم مسكناً خاصاً به ، لا يزاحمه فيه أحد .

وفي مساء اليوم التالي سافرنا من يافا . و سارت بنا الباخرة طول الليل . و في الصباح رست بنا في مرسى بورت سعيد . و نظراً لتفشِّي الطاعون ، أعاذنا الله منه ، في البلاد الشامية و ارتفاعه عن عهد غير بعيد منها فرضت الحكومة

توقيع الكشف الطبي على كلٍّ قادم من تلك الأطراف . وبناءً على ذلك طلع إلى الباخرة أحد الأطباء ، فزار ركاب الدرجة الأولى و الثانية ، و أعطى كلاً منَّا ورقة الجواز ، فنزلنا . و أمَّا ركاب الدرجة الثالثة فلم يتسنَّ لهم التخلص من الكشف الطبي إلا بعد ساعتين أو ثلاث ساعات .

وبعد وصولنا البرَّ توجهنا إلى دكان أحد أصحابنا في بورت سعيد ، هو عبد الرحمن أبو عوف ، تاجر البضائع الصينية ، فتركنا أهبتنا عنده ريثما يأتي ميعاد السفر إلى القاهرة . و أرسل السيد عبد رب النبي خبراً عن وصوله بتلفون إلى أولاده بالقاهرة ، وأنه سيقدم إليهم في ذلك اليوم. وفي الساعة السابعة انطلقنا إلى المحطة ، وركبنا القطار، وبعد هنيهة تحرك بنا ووقف بنا على المحطات المذكورة آنفا، إلى أن أتى القاهرة في الساعة ١١ مساء، فوجدنا أولاد عبد رب النبي وجمهور أهله وأصدقائه بانتظاره على المحطة. فتوجه هو ومن معه إلى بيته وتوجهت

إلى الفندق ، والحمد لله على السلامة.

وفي اليوم التالي أرسل إليَّ السيد عبد رب النبي ولده ملتمساً مني التوجه إلى منزله . و توجهت إليه ، فرغب مني أن أفطر عنده في ليالي رمضان ، فلم يسع لي إسعافه بذلك ، ففطرت عنده ست ليال تقريباً. كنت أتوجه إليه قبل الغروب.

وكان مجلسه في صحن داره ، فنحضر معه هناك حتى إذا آن وقت الإفطار أقبلنا على الفطور. و بعد الانتهاء قمنا إلى صلاة المغرب. وهي عكس عادتنا في بلادنا ، حيث تقدم الصلاة على الفطور.وبعد الصلاة تدار علينا فناجين القهوة ، وكاسات الشاهي. ثم يحضر عندنا بعض جيرانه لصلاة التراويح ، نصلي أيضاً في ذلك المكان صلاة العشاء والتراويح

وبعد الصلاة يقوم أحد من القراء المشهورين بحسن القراءة ، ومعرفتها فيتلو القرآن بصوت شجٍ ، و أسلوب

لطيف يكاد تنخلع له النفوس شجواً وحناناً. ثم يقوم صاحبه فيحذو حذوه، وهلّم جرا، إلى الساعة الثامنة ليلا. ويحضر في هذا المجلس كثير من أجلّة الفضلاء والعلماء للاستماع إلى القراءة. وقد تعرفت ببعضهم واستأنست بهم، جزاهم الله خيرا.

وليست عادة القراءة مختصة بحضرة المذكور بل مطّردة عند جميع أغنياء مصر، فإنهم يرتبون القرَّاء لقراءة القرآن في ليلي رمضان في منازلهم. فإذا مررت بين هذه المنازل ليلا في رمضان أدهشك سماع تلك الأصوات الشجيَّة من كل جانب ما تملأ النفوس إنابة وندامة، ويذكّرها هول يوم القيامة.

وانتهت ليالي رمضان وأنا بالقاهرة. وحضرت صلاة العيد بها، فنسأل الله القبول ببركة الصيام، وختم الله لنا ولجميع المسلمين بالوفاة على الإسلام. اللهم آمين.

وبعد العيد كنت كثيراً ما أحاول الارتحال والعود إلى

الوطن فلم يتيسر لي ذلك إلا بعد مضيّ أيام ، فكان انفصالي من القاهرة وتوجهي إلى بورت سعيد للسفر في ١٥ من شهر شوال، بعدما ودعت رفاقي و أودعتهم الله، وشكرت فضلهم ، لاسيما الخل الوفي و أخي الصفي سعيد بن سيف المعمري، والأمير السيد سالم بن السلطان عبد الله، والسيد عبد رب النبي المذكور وأولاده ؛ الذين غمروني بلطفهم وأنسهم بمدة إقامتي بالقاهرة. جزاهم الله خيراً وجزى جميع أصحابي الذين تعرفت بهم في أثناء سفري خير جزاء.

فلما أتيت بورت سعيد قصدت حالا إلى وكالة البواخر الفرنساوية للاستعلام عن ميعاد سفر أول باخرة إلى زنجبار، فأخبروني بأن الباخرة (كلادونيا) تسافر بعد ١٤ يوما. فاكترثت بهذه المدة ، وتوجهت إلى وكالة البواخر الطليانية، فأخبروني بأنه ستسافر باخرتهم بعد خمسة أيام ، إلا أنه ستأخذ في سفرها إلى ممباسا ٢٦ يوما، مع أنها لا تصل إلى

زنجبار. فاخترت السفر في الباخرة الفرنساوية لكونها قاصدة إلى زنجبار ، و أنها تقطع المسافة بين بورت سعيد و زنجبار في ظرف ١١ يوماً . فتربصت لها إلى ميعاد السفر فسافرت ، وذلك في ٣٠ شوال مساء ، فولجنا القنال .

القنال

هو الترعة الموصلة بين البحر الأبيض و البحر الأحمر . يخترق برزخ السويس الذي يفصل البحرين عن بعضهما ، ويوصل أفريقيا بآسيا. يبتديء من مدينة بورت سعيد ، ويصل إلى مدينة السويس ، فينتهي هناك باتصاله بالبحر الأحمر ، بعد أن يمر من وسط عدة بحيرات.وطوله ١٠٥ أميال وعرضه يختلف من ٥٨ إلى ١٠٠ متر . و عمقه ١١ متراً .

والذي أبدى فكرة إنشاء هذا القنال شخص نمساوي اسمه فردنيان دلسيس ؛ قنصل دولة الفرنسا بمصر . فقدم للحكومة المصرية في سنة ١٢٧٢ هجرية طلباً في هذا الغرض

فقبل منه سعيد باشا ، و شرع في العمل في سنة ١٢٧٣ هـ . وصار افتتاحه بالطريقة الرسمية في شهر نوفمبر سنة ١٢٨٦هـ، أيام إسماعيل باشا ، بحضور جملة من ملوك الأورباوية . و أعدَّ لهم وليمة فاخرة و احتفالاً باهراً . وبلغت نفقة الاحتفال نحو مليون جنيه . و قد بلغت قيمة ما أنفق في حفر القنال نحو عشرين مليوناً من الجنيهات الإنجليزية . أما رسوم المرور فنحو ٦ فرنكات عن طن ، و١٠ فرنكات عن كل شخص . و تمرُّ السفن فيه ليلاً ونهاراً. و كان مرورنا فيه ليلاً . و يوضع في مقدمة الباخرة عند المرور ليلاً سراج كهربائي قوي ، يأخذ بالأبصار ، تنعكس أشعته على صفحات الماء .

فوصلنا السويس نحو الساعة العاشرة سحراً ، فكان الزمن الذي اجتازته الباخرة فيه نحو ١١ ساعة . و عندما ذرَّ قرن(٩٩) من الشمس اقلعت بنا الباخرة من ميناء السويس .

(٩٩) ذرَّ قرن : ذر أي ظهر طرف منه . وقرن : الناحية أو الجانب .

ولم تزل توالي سيرها إلى أن رست في ميناء جيبوتي صباح اليوم الخامس .

وجيبوتي هذه بليدة صغيرة على السواحل الأفريقية ، بقرب باب المندب. و ليس لها أهمية تذكر سوى أنها مرسى سفن الفرنسيس عندما تجتاز باب المندب. وغالب سكانها الصومال ، وفيها بعض من عرب حضرموت . و قابلت فيها الشيخ صالح بن أحمد المسكري ، و أكرم مثواي . و هو في موضع خارج المدينة يُسمَّى هنبلي . و قد اتخذ في ذلك الموضع بستاناً غرسه كلَّه بشجر النخل ، تسقى بماء البئر . وبعد ما ودعته و تجولت قليلاً في المدينة عدت إلى الباخرة . و في الساعة ١١ مساء أقلعت ، قاصدة إلى عدن. و في الصباح رست بنا في مينائها. وظلت هناك إلى قبيل الغروب ، وعندئذ أقلعت من الميناء باخرة حربية للإنجليز فانبرت باخرتنا تجري على إثرها .

ومازالت توالي سيرها إلى صباح اليوم السابع. و في

ذلك الصباح ألقت مرساتها في ميناء ممباسة ، فتوجهت إلى البرِّ ، وقابلت أصحابي ، وقدَّموا لي ما لذَّ وطاب من الطعام ، فتناولته ، وشكرت فضلهم . ثم ودَّعتهم وعدت إلى الباخرة .

وتحركتْ قبيل الغروب قاصدةً إلى وطننا المحبوب . فما تبلَّج(١٠٠) نور الصباح إلا وقد أسفرت طلعة بشائر القرب عن غياهب البعد ، و طفح القلب عند ذلك سروراً . ففي الساعة الثالثة ألقت الباخرة مرساتها في ميناء زنجبار . وبعدما وقع الفحص و السؤال على الركاب نزلنا ، فوطئت أقدامنا أرض بلدة طالما رفلنا في مطارف(١٠١) نعمها ، وسكنا منازل حَرَمِها ، بعد أن امتد غيابنا عنها ستة أشهر إلا خمسة أيام .

وهكذا انقضت رحلتنا ، و الحمد لله أولاً و آخراً.

---

(١٠٠) تكشَّف وعمَّ.

(١٠١) مطارف: جمع مِطْرَف أو مُطَرَّف، و هي أردية من خز (حرير) مربَّعة لها أعلام. لسان العرب.

تقريظ ابن سميط :

قال العلامة الأديب ، والجهبذ الأريب السيد الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سميط مؤرخاً تمام طبع هذه الرحلة ، متعنا الله بحياته :

سر مجداً مسير مولى سري ... رافع الطرف للعلا ألمعي

بلغته المنى عزيمة نفس ... دأبها اكتساب الثناء الوفي

كأبي الحارث المهذب طبعا ... وارث المجد من أبيه التقي

انهض العزم للسياحة فازدا ... د له العلم بالذكاء السني

هذه الرحلة التي يرتضيها ... كل ندب مكيل أريحي

ولنشر المطوي منها تحرّى ... للاخلاء بطبعها المرضي

وتجلّى تاريخها ضمن بيت ... في سناء اللفظ الأنيق الجلي

انق الطبع رحلة لأبي ... طاب أصلاً محمد بن علي

١٥١–١١٢–٦٣٨–٤٣ ١٢–١٢٢–٩٢–١٦٣(١٣٣٣)

تقريظ ابي مسلم البهلاني :

ولما اطلع على هذا السفر الشيخ الفاضل ، و العالم الكامل ، ناظم سلك البلاغة ، و قائد زمام البراعة ، الشاعر الشهير أبو مسلم ناصر بن سالم بن عُديِّم الرواحي أرسل لنا هذه الكلمة الدريَّة ، وهي :

أيها الكاتب الفاضل ،

إن رحلتكم حبة من فريد الجوهر ، تناولتها الثريَّا لتجعلها ثامنة سبعتها ، أو حبة في عنقودها ، أو فصاً لخاتم كفها ، أو واسطة لعقدها. فإن لم يكن ذا فرحلتكم قطعة من النور ، دلَّت على مكان نبوغكم في الكتابة . (أبو مسلم)

ثم أتبعها بقصيدة رنَّانة من نظمه ؛ مؤرخاً تمام الطبع ، وهي :

تجـــوَّلْ في بساط الأرض شيئاً

لتنظر صنعة الملك البديع

فلم تك صخرة جبلت فقرت(١٠٢)

فلست إلى المسير بمستطيع

وهبتَ العقل والإحساس قصداً

لتدرك فهم آيات الصنيع

تهيأت الكوائن مشرقات

لتدرك كيف اتقان الجميع

جداك(١٠٣) الله للنظر اعتباراً

بسفلياته و إلى الرفيع

وأعطاك القوى وهداك منه

وسهل كل مسلوك منيع

أتعجز أن تجول على بساط

فسيح الشكل منتظم مريع(١٠٤)

---

(١٠٢) جبلت فقرت : طبعت على الثبات .
(١٠٣) جدى : أعطاك وأكرمك .
(١٠٤) مريع : جميل ورائع .

أتقنع بالجـمود على خمول

خمول المرء في طـــي القنـوعِ

نزوعـــك في بلاد الله درس

يفيدك معظـم العلم النفـوعِ

تفسَّح بينـــها تتقن علوماً

عويصات على الكَسْلِ الوديعِ

و من لزم الجمود و لم يشاهد

نفى من جهله حـق الـوقـوعِ

وعادى كلَّ مسموع غريب

وطابق شيمة الطبع الوضـيعِ

كأنك و الجمود بكسر بيت

حصاة الأس أو بعض الجذوعِ

ألم تر أن نفسك في انبساط

إذا أرسـلـتـها بيـن الـربـيـعِ

ألم تـــدرك بأنك في انقباض

وأنك وسط دارك كالمضيعِ(١٠٥)

ولو حُدِّثت عن عجب بغيبٍ

جعلت الصدق كالكذب الفضيعِ

وبين الأرض أطلال صموت(١٠٦)

إلى الإرشـــاد كالـــداعي السميعِ

تريك متى تشاهدها عـــظات

يعـــود القلب منها كاللـــسيعِ

وتسمع من لسان الحال منها

فضـائـل للأصـول على الفروعِ

وتدهشك الطبيعة كيف كانت

بإذن الله في الشكـل الـبـديـــعِ

وتدرك كيف أخلاق الـــبرايا

ومختلفات عـــادات الجـمـــيعِ

---

(١٠٥) المضيع : التائه .

(١٠٦) صموت : غير ناطقة .

ومختلف اللغى وذهاب يحيى(١٠٧)

إلى أدب سوى أدب الربيعِ

و ما نتج الترقّي الآن حتى

تجلّى العصر كالسيف الصنيعِ

و ما بلغت صناعتنا إلى أن

سلكنا أبحر الجو الرفيعِ

وكان جلادنا فوق العوادي

بأسلحة كبارقة الصديعِ(١٠٨)

فصرنا في سوابق سابحات

بقاع البحر مزدحم الجموعِ

وأنت على جمودك لا تبالي

بجهلك و هو كالسمِّ النقيعِ

---

(١٠٧) يحيى : ربما أرد به الانسان مطلقاً ، واستخدم اسم يحيى للدلالة على الحيوية والحركة .

(١٠٨) الصديع : الصبح . وأصدع بالأمر أي أظهره . اللسان .

كأنك بين هـــذا الكون وحش

قنعت من الفواكه بالـضــريع(١٠٩)

ودونك من جمال الكون وجه

بزهـرة حســنه كم مـن صريع

تـمـثَّـل مـنـه للأبصار شكــل

ولا كجـمـال حـالية شموع(١١٠)

تجــول من جمودك للمعالي

بنفس مضرس حر ضـليع

وفتش عن خبايا في الــزوايا

بواسطة التنـقــل والـنـزوع

ألم تـر رحـلة دلـت لفضل

لدى الرحّالة الضرب الزميع(١١١)

---

(١٠٩) الضريع : العوسق الرطب ، وهو ايضاً طعام أهل النار وهذا لا يعرفه العــرب ، والضريع القشر الذي على العظم تحت اللحم. اللسان. وكل تلك المعاني دالة على الحقارة .

(١١٠) الشموع: الجارية الحسنة الطيبة النفس. قال الشماخ: ولو أني أشاء كنت نفسي إلى بيضاء بهكنة شموع . العين

(١١١) الزميع: أزمع على الأمر أي نوى وقصد. وأسم الفاعل مزمع. وربما كان الزميع صيغة مبالغة أي كثير الإزماع . ولم نجدها في المعاجم .

تنزَّه في عـواصـم شاسعات

فعـاد بـفـخـره بـعـد الشسوعِ

وعـى طـرقاً تحققها فجأت

كـتـاباً نمَّقتـه يـد الربـيـعِ

حوى أدباً و تاريخاً و علماً

وأفكـاراً مشعشعة السطـوعِ

تلقى العصر طلعته ببشرى

وحنَّ إليه من قبل الطـلـوعِ

أرى زمـن المعارف في نموٍ

وإشراق الفضيلة في نصـوعِ

لـعل صنائع الأيـام عـادت

بـمرغوب العـقول بـلا شفيعِ

يدل لما ادعيت سفور برق

على قسمات ذا السفر البديعِ

تمنَّى الفضل أن يرقى بنوه
فقد صاح الرقيُّ برأس ريعِ(١١٢)
ومذ نجمت فضيلة ذي حفاظ
على الآداب كالنجم اللموعِ
حتمت لها على قلمي فروضاً
فقام إلى السجود مع الركوعِ
لقد أزمعت ترك الشعر لكن
له جذب يحلق بالهجوعِ
فما أمكنت هم الترك حتى
عراني هم داع بالرجوعِ
فيا من طرَّزَ الآداب درَّاً
و ياقوتاً برحلته النفوعِ
فإنك قد شمخت بنفس حرٍ
إلى مرقى ذوي الهمِّ الرفيعِ

(١١٢) ريع : الرِّيع والرَّيع هو الطريق المنفرج عن الجبل . اللسان .

وجئت بمورد للناس عذبٍ

يمثل طعم شهد في بديعِ

بدائع حاكها ذهن ذكيٌّ

تشير لها المعارف بالخضوعِ

شكرت لك الصنيع و أيُّ حرٍ

كريم لا يرى شكر الصنيعِ

وهبت الشعر لسناً فاستطالت

تنمق فيك آيات البديعِ

ومن تنميقها ما أرخت ها...(١١٣)

بقدر النفس فعل المستطيعِ

٦ ٣٦٠ ٢٢١ ١٨٠ ٦٢٠

قال بعض أصحاب المؤلف مؤرخاً أيضاً :

بشر لرحلتك السنية قد علا

وجه البلاد فصار يغبطه الملا

(١١٣) هكذا في النسخة المطبوعة بمطبعة النجاح .

الَّفـتها حفظاً لما شـــاهـدتـه

منذ الذهاب إلى الإياب مفصلا

فجنت بـهـا الألباب يانع فكرة

من كل دوح اللفظ أثمر و أنجلى

وعلا بنـــو الوطن العزيز منابراً

من فخر ما فعلوا بأحسن مجتلى

أوفـــى مؤلفها لها مـا قد رأى

في مصر من عجب يطيل تأملا

وكذاك أرض الشام أودع ذكرها

فيها فأحسن في المقال و أجـزلا

وبـه أهـنـــي الـقـارئين لبشـها

حلو الحديث لهم يفصل مجملا

هـــذا الكـتـاب وأنتم قرَّاؤه

فليشهد الذوق السليم بما حـلا

فـهــو التفكّه للظريف ومن له

ظمأ الـقــراءة مــنــــه منهلا

تــاريخــه (لـقـب أغـــر) أنني

بالكلمتين حسبته فتكـمـلا

(١٣٣٣)

برهان مكلا

المصادر و المراجع :

شذى العبير الروحاني

بذكر بعض أخبار العلامة محمد بن علي البرواني

- جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، الشيخ سعيد بن علي المغيري، وزارة التراث القومي والثقافة ،الطبعة الرابعة، ٢٠٠١م
- زنجبار شخصيات وأحداث، الشيخ ناصر بن عبد الله الريامي ، دار الحكمة لندن،الطبعة الاولى،٢٠٠٩م.
- إيضاح التوحيد بنور التوحيد ، الشيخ سعيد بن ناصر الغيثي،الجزء الأول ، معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد ،الطبعة الأولى ،١٩٩٦م.
- الإرشاد في شرح مهمات الاعتقاد ، تأليف الشيخ سيف بن ناصر الخروصي ، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- الابتهاج في بيان اصطلاح المنهاج ،تأليف السيد أحمد بن أبي بكر بن سميط ، الطبعة الثانية ١٩٦١ م.

- مخطوط ديوان الشيخ عبدالرحمن بن ناصر الريامي ، رقم ١٣٣٥ ، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، الشرادي – ولاية السيب.
- مخطوط شذى الأزهار من مجالس الحبيب سالم بن حفيظ في زنجبار، مكتبة العلامة الحبيب علي المشهور بن محمد بن حفيظ ، تريم- حضرموت.
- دراسات عن العرب والإسلام في شرق افريقيا ، تأليف السيد حامد بن أحمد مشهور الحداد ، دار المنهاج- الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- من مقامات أبي الحارث ،الشيخ محمد بن علي البرواني ، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة ،سلطنة عمان ، ١٩٨٠م.
- الشيخ سعيد بن ناصر الغيثي .. حياته وأثاره ،الشيخ سلطان بن مبارك الشيباني ، منتديات المجرة الاسلامية.
- شجرة نسب لقبيلة البراونة ،رسمها حمود بن علي بن حمود الحارثي و صححها الشيخ سالم بن محمد بن سعيد بن عبدالله البرواني ، عام ١٩٦٦م.

- ترجمة الشيخ سيف بن ناصر الخروصي، للشيخ سلطان بن مبارك الشيباني .
- صحافتنا العُمانية.. في ذكراها المئويّة ، مُختارات من صحافتنا العُمانيّة، للشيخ سلطان بن مبارك الشيباني .
- معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، موقع المعجم على الشبكة الالكترونية.
- ترجمة الإمام الداعية أحمد مشهور بن طه الحداد ، السيد حامد بن أحمد الحداد ،دار الفتح الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- ديوان أبي مسلم البهلاني، اعتنى بجمعه الشيخ سالم بن سليمان بن سالم بن عديم البهلاني،نسخة مصورة من المخطوط بمكتبة جامعة السلطان قابوس.
- الألفية الواضحة الملقبة بالجواهر المنظمة ، تأليف الشيخ برهان بن محمد مكلا.
- أعداد - جريدة الفلق – زنجبار، دار المخطوطات والوثائق ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان .
- أعداد – جريدة النهضة – زنجبار، دار المخطوطات والوثائق ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان .

- مجلة نزوى ، مجلة فصلية ثقافية ، العدد (٢٤) اكتوبر ٢٠٠٠م / رجب ١٤٢١هـ .
- بعض علماء الشافعية في شرق إفريقيا (باللغة السواحيلية) ، تأليف الشيخ عبدالله بن صالح الفارسي .
- مقابلة مع الشيخ حمد بن سالم بن محمد الرواحي ، ٢٠٠٩م.
- مقابلة مع الشيخ عبدالله بن حمد بن سليمان الحارثي،٢٠٠٨م.
- عدة لقاءات مع الوالدة فريدة بنت محمد بن علي البروانية، ٢٠٠٨م، ٢٠٠٩م.
- عدة لقاءات مع الوالدة نائلة بنت محمد بن علي البروانية ٢٠٠٨م ، ٢٠٠٩م

الـــمـــلاحـــق

١. صورة الشيخ محمد بن علي البرواني عندما كان صغيراً .

٢. صورة الشيخ أثناء خروجه من برزة العيد .

٣. وثيقة بخط الشيخ محمد البرواني .

٤. صورة لمحصول القرنفل لمزرعة الشيخ محمد في اندغا .

٥. صورة لمزرعة الشيخ في دونجا .

٦. صورة لبعض ضيوف الشيخ في استراحة الشاي

ملحق (١)

صورة الشيخ محمد بن علي البرواني عندما كان صغيراً

ملحق (٢)

الرابع من اليسار اثناء خروجه من من برزة العيد

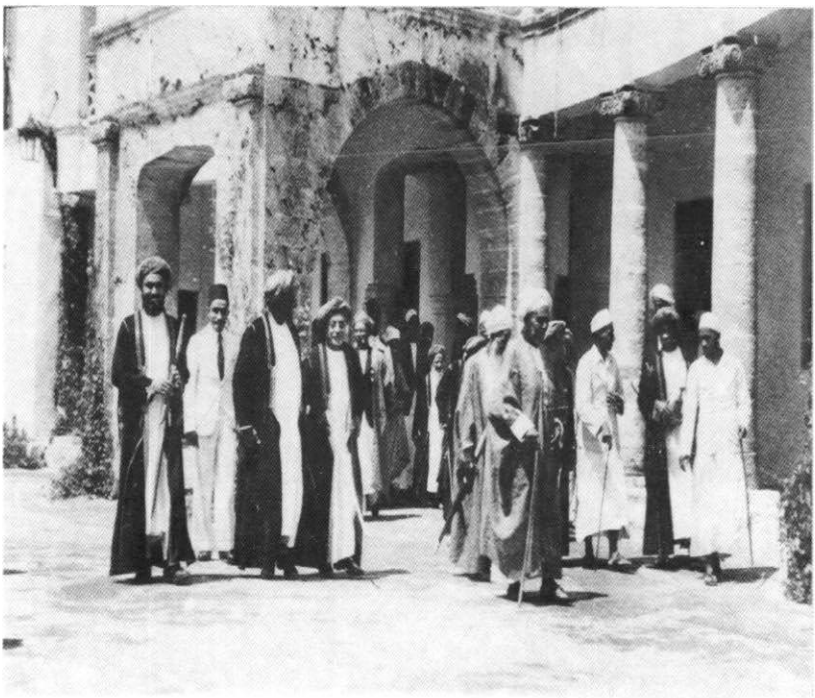

ملحق (٣)

وثيقة بخط الشيخ محمد البرواني

لبيع نصيبه من فلج الحلالي بولاية ابراء

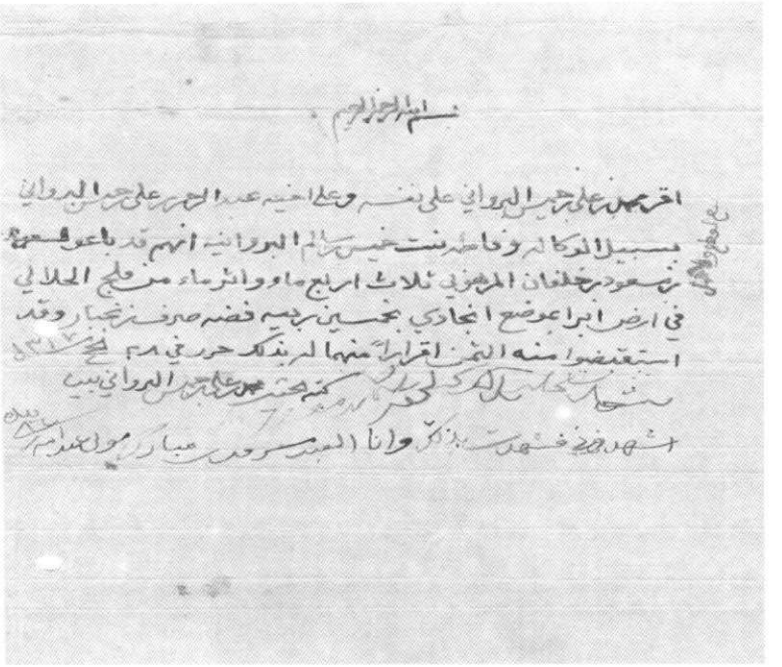

ملحق (٤)

صورة لمحصول القرنفل لمزرعة الشيخ محمد في اندغا

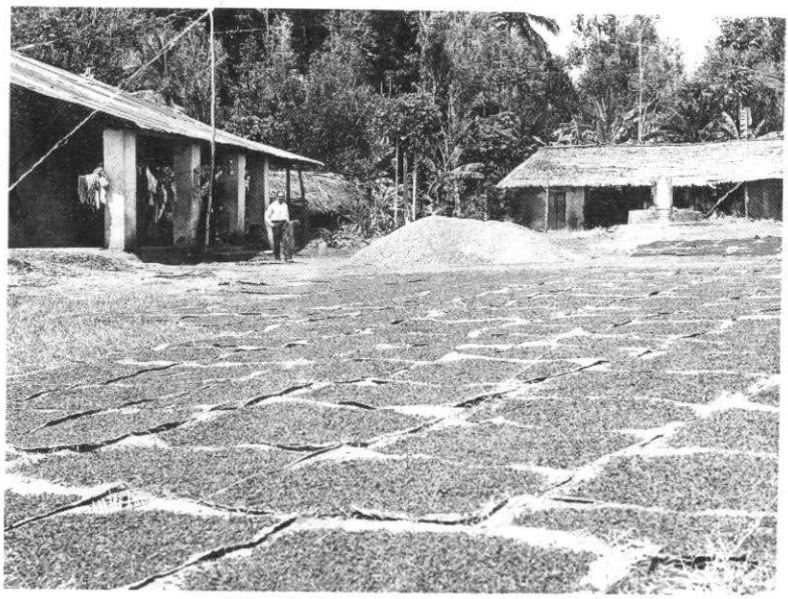

للشيخ محمد بن علي أربعة مزارع :

الأولى : في دونجا ومحصولها من البرتقال والأناناس والموز والمانجو والفيفاي والاستعفل والشوك شوك .
الثانية : في اندغا واعتمادها على القرنفل .
الثالثة : في مُيوني ويزرع فيها الأرز.
الرابعة : في فووني وكانت محل إقامة أخيه عبد الرحمن ومحصولها متنوع.

ملحق (٥)

صورة لمزرعة الشيخ في دونجا

ملحق (٦)

صورة لبعض ضيوف الشيخ في استراحة الشاي

المحتويات

م	الموضـــوع	الصفحة
١	تقديم	٣
٢	شذى العبير بذكر بعض أخبار العلامة محمد بن علي البرواني	٧
٣	نسبه	٨
٤	نشأته	١٠
٥	صفاته	١٣
٦	أعماله	١٥
٧	آثاره العلمية	١٨
٨	مشائخه	٢٢
٩	العلاقة العلمية والأدبية والاجتماعية بين الشيخ محمد بن علي البرواني ورجال زمانه .	٣٦
١٠	وفاته	٥٣
١١	رحلة أبي الحارث	٥٦
١٢	السفر	٥٧
١٣	عدن	٦١
١٤	السويس	٦٣
١٥	مصر	٦٦
١٦	القاهرة	٧٠
١٧	شوارعها	٧٢
١٨	متاحفها	٧٦
١٩	متنزهاتها	٧٨

م	الموضـــــوع	الصفحة
٢٠	جوامعها	٨٠
٢١	مزاراتها وموالدها	٨٤
٢٢	مفارقات	٩١
٢٣	عمرانها	٩٢
٢٤	مصر هبة النيل	٩٥
٢٥	ضواحي القاهرة	١٠١
٢٦	أرياف مصر	١١٠
٢٧	عوائد أهل مصر	١١٣
٢٨	السفر الى الشام	١١٨
٢٩	بيروت	١٢١
٣٠	دمشق	١٢٦
٣١	يافـــا	١٤٠
٣٢	القدس	١٤١
٣٣	القنال	١٥٣
٣٤	تقريظ ابن سميط	١٥٧
٣٥	تقريظ ابي مسلم البهلاني	١٥٨
٣٦	المصادر والمراجع	١٦٩
٣٧	الملاحق	١٧٣

تم بحمد الله